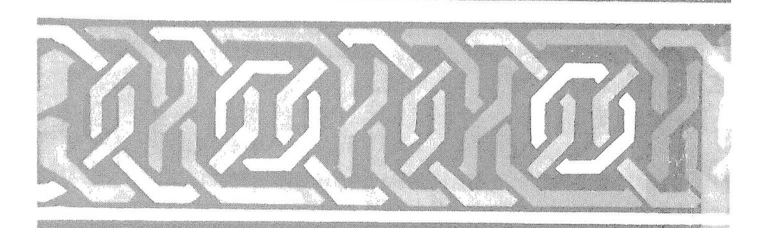
مجموعة الصفات

الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة

في حق الله تبارك وتعالى



طه عبد الله العفيفي
خادم القرآن والسنة

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

مجموعة الصفات :



في حق الله تبارك وتعالى

الجزء الأول

خادم القرآن والسنة
طه عبد الله العفيفي



سبحانك
لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد) •

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا) •

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوما تفكروا فى الله عز وجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(تفكروا فى خلق الله ، ولا تتفكروا فى الله ، فإنكم لن تقدروا قدره) •

قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى •

الإهـــداء

إلى الإخوة المسلمين والأخوات المسلمات الذين يريدون أن يكونوا من عباد الله الحقيقين ، على أساس توحيدى سليم :

أقدم : (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى) : حتى يعرفوا من خلالها : من هو الله الواحد الأحد ، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وحتى يكونوا بسبب هذه المعرفة إن شاء الله تعالى من أهل التوحيد الخالص الذى لا فلاح ولا نجاح فى الدنيـا والآخرة إلا به والله ولى التوفيق ،،،

المؤلـف

تقـــديم هـــام

اخى المسلم ــ اختى المسلمة :

فى ليلة من الليالى المباركة كنت ألقى محاضرة دينية بين المغرب والعشاء فى مسجد من مساجد الجمعية الشرعية ــ ناحية بين السرايات جيزة ــ

وكنت فى هذا الدرس قد ذكرت بأن الإمام عليا كرم الله وجهه وقف ذات يوم على المنبر ليخطب فسأله أحد الجالسين بين يديه عن مسألة من المسائل ، فقال : الله أعلم .. فتعجب هذا السائل ثم قال للإمام على كرم الله وجهه :

هــذا مكان من يعلم ولا يجهــل .. فقال له الإمام : هذا مكان من يعلم ويجهل .. أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان .

وكنت أقصد بهذا الكلام أن يتواضع أهل العلم فضلا عن طلابه .. وأن يدركوا تماما أن العلم بحر لا شاطىء له .. وأن الله تعالى وحده هو الذى يحيط بكل شىء علما .

ولكن يبدو أن كلامى هذا لم يعجب أحد الإخوة الحاضرين فأخذ يناقشنى فى موضوع الفوقية .

فقلت له : يا أخى إنه لا يصح أن نحدد مكانا لله تبارك وتعالى .. لأننا لو حددنا له مكانا لكان حادثا ولما كان إلها .. وهو سبحانه مخالف للحوادث ، وهو سبحانه كما قال عن نفسه فى قرآنه : « **ليس كمثله شىء** » .

وكان اللقاء هذا أن ينتهى بفتنة ولكن الله سلم .

ثم حدث بعد ذلك وبعد أن عدت إلى بيتى أن أخذت أفكر فى هذا الموضوع الهام .. الذى كما رأيت ينبغى أن نضع فيه النقط على الحروف .. حتى لا يكون هناك زيغ أو ضلال .. بهذا المعنى الكبير من مفهوم ، ولا سيما إذا كان يتعلق بالعقيدة التى هى الأساس فى هذا الدين الحنيف .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

يارب إن ذنوبى فى الورى كثرت

وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه

حب النبى وهذا القدر يكفينى

ثم رأيتنى بعد ذلك أتناول الجزء الأول من (الدين الخالص) (١) الذى قرأت فيه تحت عنوان : « علم التوحيد »

---

(١) وهو من أهم مؤلفات الإمام الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى .

بأنه لغـــة العلم بأن الشىء واحـــد ، وشرعا إفراد المعبود ــ سبحانه وتعالى ــ بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعـــالا .

وأنه يعرف بمعنى الفن المدون بأنه علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية ، وهى التى يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى ، حر أو رقيق أن يعتقدها :

فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى والمستحيلة، والجائزة فى حقه تعالى .

وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام .

وأن يعرف ما جاء فى الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما .

وأن : من لم يعرف ذلك فليس بمسلم ، ويخلد فى نار جهنم (والعياذ بالله) .

** ولهـــذا فقد رأيت من واجبى كعالم من علمـــاء المسلمين المسئولين عنهم أمام الله تبارك وتعالى بما من الله على من علم نافع أن أعمل على إنقاذهم ــ بقدر استطاعتى ــ من الخلود فى نار جهنم التى أمرنا الله تبارك وتعالى نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نعمل على إنقاذ أنفسنا منها ، فقال :

*** « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .**

كما قال تعالى مشيرا إلى أهمية النجاة منها والفوز بدخول الجنة :

*** « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .. » (٢) .**

** وذلك بتذكير إخوانى المسلمين — ذكورهم وإناثهم — بتلك الصفات الواجبة لله تعالى والمستحيلة ، والجائزة فى حقه تبارك وتعالى .. ثم بالصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام .. ثم بالصفات الخلقية والخلقية للرسول محمد ﷺ .. والصفات الخلقية والخلقية للعشرة المبشرين بالجنة .. وصفات المؤمنين . وصفات المتقين .. وصفات المنافقين .. وصفات العارفين . وصفات المتوكلين .. صفات أهل الجنة .. وصفات أهل النار .. فى أجزاء متتابعة وفى مجموعة مباركة ، أطلقت عليها اسم (مجموعة الصفات) : التى أسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بمجموعة : (وصايا الرسول ﷺ) ومجموعة : (الحقوق الإسلامية) بالإضافة إلى الكتب الأخرى التى نفع

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

الله تعـالى بها كذلك ، والتى منها : (مكائد الشـيطان) ، (مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة) ، (مفاتيح السماء من مختارات الدعاء) ، (ميراث رسول الله ﷺ) ، (من : خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين) ، (من أفعال الرسول ﷺ فى الطهارة والصلاة) ، (أسباب السلامة من أهوال القيامة) •••

هذا ، وإذا كنت قد أشرت إلى (مجموعة الصـفات) المباركة التى أعمل ليلا ونهارا بتوفيق من الله تبـارك على إتمامها •• فإننى أذكر الأخ المسلم والأخت المسلمة بأننى قد انتهيت والحمد لله من كتاب جديد لن يقل أهمية عن الكتب المذكورة ، وهو : (من : سنن العبادات القولية والفعلية) •

ولسوف تقوم : (دار التأليف متعاونة معى) بطبع ونشر (مجموعة الصفات) والكتاب الأخير •• مع دعائى لها وللقائمين على إدارتها والمتعاملين معها والقارئين لها : بأن يوفقنا الله تعالى وإياهم لما يحبه ويرضاه ، حتى نكون بذلك أهلا لرحمته ومغفرته •• بل وبركاته ونفحاته •• إنه تعالى على كل شىء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،،

٤ من جمادى الآخر ١٤١٠ هـ — خادم القرآن والسنة

١ ينـاير ١٩٩٠ م — **طه عبد الله العفيفى**

أهم مراجع كتاب
الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة
فى حق الله تبارك وتعالى ، وفى حق الرسل
عليهم الصلاة والسلام

* القرآن الكريم .
* مختصر تفسير الإمام الطبرى .
* رياض الصالحين .. للإمام النووى .
* الدين الخالص .. للإمام محمود خطاب السبكى .
* منهاج المسلم .. للإمام أبو بكر الجزائرى .
* رسالة التوحيد للإمام الشيخ محمد عبده .
* الفتاوى الأمينية .. للإمام أمين محمود خطاب السبكى .
* هذه دعوتنا .. للإمام عبد اللطيف مشتهرى .
* فقه السيرة .. للشيخ محمد الغزالى .
* مع الله .. نظرات فى الكون والحيــاة .. للأســتاذ عبد الجواد رجب .

* للكون إله .. مدخل إلى التوحيد .. للشيخ عبد العزيز كامل الشـــهابى .
* تهذيب شرح الخريدة .. فى علم التوحيد .. للأستاذين حسن السيد الهوبى ، أحمد الطنطاوى جميل .
* البحوث الدينية (التوحيد) ، للأستاذين : يوســـف مصطفى الحماوى ، محمد محمد الشناوى .
* شرح أحكام الإسلام .. للعلامة الشـــيخ عبد العزيز النابلسى .
* مذكرات التوحيد .. لفضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى .
* منهاج الصالحين .. للأستاذ عز الدين بليق .
* وصايا الرسول ﷺ .. للشيخ طه عبد الله العفيفى .

(من هو الله تبــارك وتعالى ؟)

وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى الذى سنتعرف من خلاله على الصفات الواجبة ، والمستحيلة ، والجائزة فى : حق الله تبارك وتعالى •

أرى أنه من الخير أولا كأساس لهذا الموضوع ، أن نعرف:

(من هو الله تبارك وتعالى ؟)

وحسبنا إذا أردنا أن نتعرف على هذا الإله العظيم •• أن نعيش بأرواحنا مع بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث القدسية لنرى كيف يحدثنا سبحانه وتعالى عن نفسه وعن آياته ، فيقول :

*** « الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين •• » (١) •**

*** « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم » (٢) •**

*** « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سـنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع**

(١) سورة الفاتحة : ٢ ــ ٤ .
(٢) البقرة : ٢٩ .

عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم » (١) .

※ « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٢) .

※ « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) الرعد : ٢ ـ ٤ .

الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون • وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهـارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون • أفمن يخلـق كمن لا يخلق أفلا تذكرون • وإن تعـدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » (١) •

* « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون • ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون • والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيـوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين • والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » (٢) •

* « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون • يخرج

---

(١) النحل : ١٠ — ١٨ •
(٢) النحـل ٧٨ — ٨١ •

الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعـد موتها وكذلك تخرجون • ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون • ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون • ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين • ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون • ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون • ومن اياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون • وله من فى السموات والأرض كل له قانتون • وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (١) •

* وهو : « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون » (٢) •

---

(١) الروم : ١٧ — ٢٧ •
(٢) الروم : ٤٠ •

* وهو : « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » (١) .

* وهو : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » (٢) .

* وهو الله الذى « خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين » (٣) .

* وهو : « الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس

---

(١) الروم : ٤٨ — ٥٠ .
(٢) الروم : ٥٤ .
(٣) لقمان : ١٠ — ١١ .

لا يشكرون • ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون • كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون • الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين • هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » (١) •

* « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون • وهو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » (٢) •

* « •• وهو العزيز الحكيم • له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير • هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم • هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير • له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور • يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور » (٣) •

---

(١) غافر : ٦١ — ٦٥ • (٢) غافر : ٦٧ — ٦٨ •
(٣) الحديد : ١ — ٦ •

* « **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** » (١) .

** وقبل أن نقف على (أسماء الله الحسنى) وما ورد فيها من أحاديث شريفة أرى أن أقف معك أولا على بعض الأحاديث القدسية التى يتحدث فيها رب العزة سبحانه وتعالى عن نفسه فيقول :

* (إنى أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لى بالتوحيد دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى) . رواه الشيرازى فى الألقاب عن على .

* (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ومن ثبتها ثبته إن رحمتى سبقت غضبى) . رواه أحمد ، والبخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى عن ابن عوف ، والحاكم ، والخرائطى ، والخطيب عن أبى هريرة .

---

(١) الحشر : ٢٢ — ٢٤ .

* (أنا الله خلقت العباد بعلمي فمن أردت به خيرا منحته خلقا حسنا ، ومن أردت به سوءا منحته خلقا سيئا) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر •

* (أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك ، وملك الملوك . قلوب الملوك في يدى ، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وأن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العـــذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب آكفكم ملوككم) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء •

* (أنا العزيز من أراد عز الدارين فليطع العزيز) رواه الخطيب البغدادي عن أنس •

* (أوحى الله إلى إبراهيم : يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم) رواه ابن عبد البر معلقا •

** هذا ، وإذا كان لي بعد ذلك أن أعود ، إلى :

أسماء الله الحسنى

التي أمرنا الله تعالى أن نسميه ونذكره وندعوه بها فقال :

* (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) •

والتى رغبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى حفظها فقال :

* (إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر) رواه الشيخان والترمذى عن أبى هريرة •

* وفى رواية : (إن لله تسعة وتسعين اسما : مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة) :

أى [1] : من حفظها وذكر الله بها واستحضر معناها واستشعر آثارها من الرجاء والخوف والخشية دخل الجنة إن شاء الله •• وهذا هو مراد الحديث لا حصر أسماء الله تعالى فى هذه الأسماء ، للحديث الآخر :

* (أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) •

والأن كمالات الله تعالى من صفات **وأسماء لا نهاية لها** . ولكنه تعالى ما كلفنا إلا بما فى وسعنا وطاقتنا : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فله مزيد الحمد ووافر الشكر •

والذى يعنينا الآن هو أن نقف على الأسماء التسعة والتسعين ، الواردة :

---

(١) كما جاء فى كتاب (التاج الجامع للأصول) ص ٩٣ •

* عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، أنه قال :

(إن الله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة :

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار المتكبر ، الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدىء المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور) .

رواه الترمذى وابن حبان والحاكم (١) .

(١) بسند غريب للترمذى ، ولغيره بسند صحيح .

ورواه الدارمى وزاد : كلها فى القرآن .

* وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه الله تعالى قال : سألت أبى جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التى من أحصاها دخل الجنة ، فقال :

هى فى القران ، ففى الفاتحة خمسة أسماء : يا الله ، يارب ، يا رحمن ، يا مالك .

وفى البقرة ثلاثة وثلاثون اسما : يا محيط ، يا قدير ، يا عليم ، يا حكيم ، يا على ، يا عظيم ، يا تواب ، يا بصير ، يا ولى ، يا واسع ، يا كافى ، يا رءوف ، يا بديع يا شاكر ، يا واحد ، يا سميع ، يا قابض ، يا باسط ، يا حى يا قيوم ، يا غنى ، يا حميد ، يا غفور ، يا حليم ، يا إله ، يا قريب ، يا مجيب ، يا عزيز ، يا نصير ، يا قوى ، يا شديد ، يا سريع ، يا خبير .

وفى آل عمران : يا وهاب ، يا قائم ، يا صادق ، يا باعث يا منعم ، يا متفضل .

وفى النساء : يا حسيب ، يا رقيب ، يا شهيد ، يا مقيت يا وكيل ، يا على ، يا كبير .

وفى الأنعام : يا فاطر ، يا قاهر ، يا لطيف ، يا برهان .

وفى الأعراف : يا محيى ، يا مميت •

وفى الأنفال : يا نعم المولى ، ويا نعم النصير •

وفى هود : يا حفيظ ، يا مجيد ، يا ودود ، يا فعال تريد •

وفى الرعد : يا كبير ، يا متعالى •

وفى إبراهيم : يا منان ، يا وارث •

وفى الحجر : يا خلاق •

وفى مريم : يا فرد •

وفى طه : يا غفار •

وفى قد أفلح : يا كريم •

وفى النور : يا حق يا مبين •

وفى الفرقان : يا هاد •

وفى سبأ : يا فتاح •

وفى الزمر : يا عالم •

وفى غافر : يا قابل التوب ، يا ذا الطول ، يا رفيع

وفى الذاريات : يا رزاق ، ياذا القوة ، يا متين •

وفى الطور : يا بر •

وفى اقتربت : يا مقتدر ، يا مليك •

وفى الرحمن : ياذا الجلال والإكرام ، يارب المشرقين ، يارب المغربين ، يا باقى ، يا معين .

وفى الحديد : يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن .

وفى الحشر : يا ملك ، يا قدوس ، يا سلام ، يا مؤمن يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبار ، يا متكبر ، يا خالق ، يا بارىء يا مصـــور .

وفى البروج : يا مبدىء ، يا معيد .

وفى الفجر : يا وتر .

وفى الإخلاص : يا أحد ، يا صمد . أ.هـ .

❋ وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله فى (تلخيص الخبير) تسعة وتسعين اسما من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا :

الله الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدو المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء الم الأول الآخر الظـاهر الباطن الحى القيـوم العـلى ا التواب الحليم الواسـع الحـكيم الشـاكر العليم ، الع الكريم ، العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المول النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوى الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المتين الغفار القهار الخلاق الفتاح

الودود الغفور الرءوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفى الوارث الولى القائم القــادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادى الكفيل الكافى الأكرم الأعلى الرازق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السموات والأرض بديع السموات والأرض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ٠ أ٠هـ ٠

* وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبى وغيرهم ، وعــدها ابن العربى المالــكى فى (أحكام القرآن) مرتبا لها على السور لكنه أخطأ فى بعض ما عــده ...

* ومن أجمل الملاحظات التى أشار إليها صاحب كتاب (معارج القبول) قوله بعد ذلك :

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة فى التسعة والتسعين المذكورة فى حديث أبى هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القران بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين ، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرجا) فقيل : يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال : (بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها) .

* واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله ، فإذا أطلق وحده أوهم نقصا تعالى الله عن ذلك ، فمنها : المعطى المانع ، والضار النافع ، والقابض الباسط ، والمعز المذل ، والخافض الرافع . فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده ، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها ، إذ لم تطلق فى الوحى إلا كذلك ، ومن ذلك المنتقم لم يأت فى القرآن إلا مضافا إلى ذو ، كقوله تعالى « عزيز ذو انتقام » (١) أو مقيدا بالمجرمين كقوله تعالى : « إنا من المجرمين منتقمون » (٢) .

---

(١) آل عمران : ٤

(٢) السجدة : ٢٢ .

* واعلم أنه قد ورد فى القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة ، وهى فيما سيقت فيه مدح وكمال لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه فى غير ما سيقت فيه من الآيات ، كقوله تعالى:

« إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » (١) .

وقوله : « ومكروا ومكر الله » (٢) .

وقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » (٣) .

وقوله تعالى : « .. وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم » (٤) .

ونحو ذلك ، فلا يجور أن يطلق على الله تعالى : مخادع ماكر ، ناس ، مستهزىء ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، ولا يقال الله يستهزىء ، ويخادع ، ويمكر ، وينسى على سبيل الإطلاق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

* وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والإستهزاء مطلقا ، ولا ذلك داخل فى أسمائه الحسنى ،

---

(١) النساء : ١٤٢ .
(٢) آل عمران : ٥٤ .
(٣) التوبة ٦٧ .
(٤) البقرة : ١٤ ، ١٥ .

ومن ظن من الجهال المصنفين فى شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى : الماكر المخادع المستهزىء الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء ، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها فى الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم ، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا ، بل تمدح فى موضع وتذم فى موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقا ، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزىء ويكيد ، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها ، بل إذا كان لم يأت فى أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع الأن مسـميـاتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم ، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منهـا كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد ، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزىء ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعى والآتى والجائى والذاهب والقادم والرائد والناسى والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التى أطلق تعالى على نفسه أفعالها فى القران ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخـداع

إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.
قلت : ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر فى بعض ما عده ابن العربى ، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا ، أما فى سياقهما من الآيات التى ذكرت فيها صفات الكمال ومدح وتوحد كما قال تعالى : « .. **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين** » (١) . وقال تعالى : « **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** » (٢) . الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله ، وأكبر مصيبة أن عد فى الأسماء الحسنى رابع ثلاثة ، وسادس خمسة مصرحا قبل ذلك بقوله : فى سورة المجادلة اسمان فذكرهما . وهذا خطأ فاحش . فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقا ولا مفهوما ، فإن الله عز وجل قال :

« **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو**

---

(١) الأنبياء : ١٠٤ .
(٢) الواقعه : ٦٣ ، ٦٤ .

سـادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هـو معهم أينما كانوا ٠٠ »(١) الآية ٠

وأين فى هذا السياق : رابع ثلاثة وسادس خمسـة ؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول رابع ثلاثة فى نجواهم وسادس كل خمسة كذلك فإن الله تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية ، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية والله تعالى أعلم ٠

* واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنا والتزاما ، فدلالة أسمه تعالى (الرحمن) على ذاته عز وجل مطابقة ، وعلى صفة الرحمة تضمنا وعلى الحياة وغيرها التزاما ، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى ٠ وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحدون فى أسمائه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فإن الله عز وجل هو الإله وما سواه عبيد ، وهو الرب وما سواه مربوب ، وهو الخالق وما سواه مخلوق ، وهو الأول فليس قبله شىء وما سـواه محدث كائن بعد أن لم يكن ، وهو الآخر الباقي فليس بعده شىء وما سواه فان ٠ فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما

---

(١) المجـادلة : ٧ ٠

زعموا للكائنات مخلوقة مربوبة محدثة فانية . إذ كل ما سواه كذلك ، تعالى الله كما يقول الظالمون علوا كبيرا .

* ثم يشير بعد ذلك فى (معارج القبول) إلى ملاحظة أخرى فيقول :

واختلف العلماء فى معنى قوله ﷺ (من أحصاها) فقال البخارى وغيره من المحققين : معناه حفظها ، وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى . وقال الخطابى : يحتمل وجوها : أحدها أن يعدها حتى يستوفيها ، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ويثنى عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب . وثانيها المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها . فإذا قال : (الرازق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء . ثالثها : المراد بها الإحاطة بجميع معانيها . وقيل أحصاها عمل بها ، فإذا قال : (الحكيم) سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعا على مقتضى الحكمة ، وإذا قال : (القدوس) استحضر كونه مقدسا منزها عن جميع النقائص .. واختاره الوفاء بن عقيل ..

** ومن أجل هذا المفهوم الأخير كان لابد وأن نقف على معانى تلك الأسماء الحسنى حتى نكون إن شاء الله تعالى من

هؤلاء المحصين لها على أساس من هـذا المفهوم التعبدى الصحيح الذى أرجو أن نكون به إن شـاء الله تعالى من المؤمنين الصادقين الذين يعرفون الله تعالى حق المعرفة التى بها سنكون كذلك من الأغنياء الحقيقيين •• كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله :

من عـرف الله فلم تغنـه

معـرفة الله فذاك الشـقى

وقد قرأت فى « التاج الجامع للأصول »(١) شرحا وافيا لأسماء الله الحسنى رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أزودك به — بتصرف يسير — فإليك :

شرح الأسـماء الحسنى

حسب ترتيبها فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه :

١ — الله : علم على الذات العلية الواجب الوجود دائما، وقال بعضهم : إنه الإسم الأعظم ، وفيه مؤلفات خاصة لابن عطاء الله السكندرى وغيره :

* وقد ورد تحت عنوان « الإسم الأعظم » عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا

(١) للأستاذ الشيخ منصور على ناصف . أكرمه الله .

يقول : اللهم إنى أسألك أنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فقال : (لقد سألت الله بالإسم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى أجاب) . رواه أصحاب السنن .

* وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : (اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين :

« **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** » .
وفاتحة سورة آل عمران « **الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم** »
رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى .

* وعن أنس رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم . فقال النبى ﷺ : (لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى) رواه أبو داود والترمذى .

٢ ، ٣ : الرحمن الرحيم : فالرحمن : أى المنعم بجلائل النعم ، والرحيم أى المنعم بدقائق النعم ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فهما من الرحمة بمعنى مريد

---

(١) البقرة : ١٦٣ ، وأول سورة آل عمران .

الإحسان أو محسن بالفعل ، والإمران واقعان ، فهما صفة ذات على الأول ، وصفة فعل على الثانى •

٤ — الملك : أى ذو الملك أو المتصرف فى ملكه بالإيجاد والإعدام ونحوهما فهو صفة ذات على الأول وصفة فعل على الثانى أى صفة نشأ عنها الفعل والتأثير •

٥ — القدوس — بالضم أشهر من الفتح : أى المطهر والمنزه من سمات النقص والحدوث ، بل هو مبرأ عن أن يدركه حس أو يتصوره خيال أو يحيط به عقل فهو من أسماء التنزيه •

٦ — السلام : أى ذو السلام من كل نقص وآفة فى ذاته وصفاته وأفعاله ، أو معطى السلامة والأمن لمن يشاء ، أو ذو السلام على المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى : « **سلام قولا من رب رحيم** » (١) فهو صفة ذات على الأول وصفة فعل على الثانى •

٧ — المؤمن : أى المصدق لرسله بخلق المعجزات لهم ، أو المعطى الأمان أو المانح السكينة لمن يشاء •

---

(١) سورة يس : ٥٨ •

٨ ـ المهيمن (١) : أى الرقيب المبالغ فى المراقبة والحفظ، فهو العالم الشاهد لا يغيب عنه مثقال ذرة •

٩ ـ العزيز : أى الغالب ، فمرجعه للقدرة المتعالية عن المعارضة ، أو القوى الشديد ، أو عديم المثـال ، فهو من أسماء التنزيه •

١٠ ـ الجبار : أى هو المصلح الأمور عبـاده المتكفل بمصالحهم ، أو المتعالى عن أن يناله كيد كائد ، فهو من أسماء الأفعال على الأول ، ومن أسماء التنزيه على الثانى •

١١ ـ المتكبر : أى هو من يرى غيره بالنسبة إليه رؤية مالك لعبيده ، وهو على إطلاقه لا يتصور إلا الله تعالى وهذا من أسماء الذات •

١٢،١٣،١٤ : الخالق البارىء المصور : وهى ألفاظ مترادفة على معنى واحد ، وهو الإيجاد من العدم والإبداع كما شاء• وقيل : الخالق : أى الموجد للمخلوقات من غير أصل ، والبارىء ، أى الموجد لها من أصل ، من البرء وهو خلوص الشىء من غيره تقصيا منه كبرء المريض من مرضه والمدين من دينه • والمصور ، أى المبدع لصور الأشياء لكل شىء صورة تميزه

---

(١) من هيمن الطائر اى نشر جناحيه على فراخه زيادة فى صيانتهم •

عن غيره ، فالخالق الموجد للإيجاد الأول ، والبارىء المحدث له فظهر ، والمصور الذى سواه فكساه صورة تناسبة • قال تعالى « **سبح اسم ربك الأعلى • الذى خلق فسوى** » [١] • فالثلاثة على الترتيب الواقعى والإثنان الأخيران كالتفصيل للأول •

١٥ — الغفار : أى كثير الغفر وستر القبائح على العباد بدون مؤاخذة فضلا منه تعالى •

١٦ — القهار : أى الذى كل مخلوق فى قبضته ومسخر لقضائه ومقهور بقدرته •

١٧ — الوهاب : أى كثير النعم دائم العطاء والهبات •

١٨ — الرزاق : أى خالق الأرزاق وأسبابها كلها ومفيضها على عباده ، وما قبله إلى الخالق [٢] من أسماء الأفعال •

١٩ — الفتاح : أى الحاكم بين العباد ، أو الناصر لمن شاء ، أو من يفتح خزائن رحمته لعباده ، قال تعالى : « **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها** » [٣] • فهو اسم ذات على الأول واسم فعل على ما بعده •

---

(١) سورة الأعلى : ١ ، ٢ •

(٢) أى ما قبله الى اسم (الخالق) •

(٣) فاطر : ٢ •

٢٠ ـ العليم : أى الذى علم ما كان وما يكون أولا وآخرا ظاهرا وباطنا فى الملك والملكوت لأنه خلق الأشياء كلها ، قال تعالى : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (١) . فالعلم صفة كشف للذات العلية .

٢١، ٢٢ : القابض الباسط : أى مضيق الرزق على من شاء وموسعه على من شاء ، أو قابض الأرواح من الأشباح لموتها وناشرها بالأشباح لحياتها ، أو قابض للقلوب بإضلالها وباسط لها بهداها ورشدها ، فهما من صفات الأفعال .

٢٣، ٢٤ : الخافض الرافع : أى من : يخفض القسط ويرفعه ، أو من يخفض الكفار والفجار بالخزى والذل والصغار وعذاب النار ، ويرفع الأبرار بالإجلال فى دار السلام .

٢٥، ٢٦ : المعز المذل : أى المعز لمن شاء بتوفيقه للفعل المليح والمذل لمن شاء يهديه للقبيح ، فهو المعز لمن شاء إعزازه والمذل لمن شاء إذلاله ، فهو من صفات الأفعال .

٢٧ ـ السميع : أى الذى يسمع كل شىء من الأصوات وغيرها بدون حاسة .

---

(١) الملك : ١٤ .

٢٨ ـ البصير : أى الذى يبصر كل شىء ولو صوتا بدون حاسة ، قال تعالى : « **ليس كمثله شىء** »(١) • فهما صفتان ينكشف بهما كل شىء انكشافا تاما كصفة العلم •

٢٩ ـ الحكم : أى الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه فمرجعه للقول الفاصل بين الحق والباطل ، والبر والفاجر •• المجازى كل نفس بما عملت •

٣٠ ـ العدل : أى العادل المبالغ فى العدل ، فهو من صفات الأفعال •

٣١،٣٢ ـ اللطيف الخبير : أى اللطيف بأوليائه الخبير بهم ، أو اللطيف العالم بخفيات الأمور ودقائقها ، والخبير : أى العليم ببواطن الأشياء ، فهما من صفات الكشف ، أو اللطيف العالم بالخفيات المتعالى عن أن يحس فهو من صفات التنزيه •

٣٣ ـ الحليم : أى الذى لا يستفزه غضب ولا يحمله على استعجال عقوبة ، فمرجعه التنزيه عن العجلة •

٣٤ ـ العظيم : أى البالغ أقصى مراتب العظمة ، فلا يتصوره عقل ، ولا تحيط بكنهه بصيرة ، فمرجعه التنزيه والتعالى عن إحاطة العقول بكنه ذاته جل شأنه وعلا •

---

(١) الشورى : ١١ •

٣٥ — الغفور : أى كثير المغفران •

٣٦ — الشكور : أى الذى يعطى الجزيل على العمل القليل، فهما من صفات الأفعال •

٣٧ — العلى : أى البالغ فى علو الرتبة بلا نهاية ، فما من شىء إلا وهو منحط عنه تعالى ، فهو من الأسماء الإضافية •

٣٨ — الكبير : أى الكبير فى كل شىء لأنه أزلى وغنى على الإطلاق ، أو الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول، فهو من أسماء التنزيه •

٣٩ — الحفيظ : أى الذى يحفـظ الأشـياء من الزوال والإختلال ما شاء ذلك ، ويحفظ على العبـاد أعمالهم حتى يجزيهم عليها بفضله •

٤٠ — المقيت : أى خالق الأقوات بدنيـة وروحانيـة وموصلها للأشباح والأرواح ، فهو وما قبـله من صـفات الأفعـال •

٤١ — الحسيب : أى الكافى لعبده من أحسبنى أى كفانى وحسبى الله أى كافينى ، أو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة فهو صفة فعل على الأول والثانى إن جعلت المحاسبة مكافأة ، وإن جعلت معاتبة وتعدادا للأعمال كان مرجعه للقول •

٤٢ — الجليل : أى المتصف بصفات الجلال ، فهو من صفات التنزيه كالقدوس . قال الرازى رضى الله عنه : الفرق بينه وبين الكبير والعظيم أن الكبير الكامل فى الذات والجليل الكامل فى الصفات ، والعظيم الكامل فيهما .

٤٣ — الكريم : أى المتفضل المعطى من غير سؤال ولا عوض ، واللطيف فى العتاب ، والمقدس عن النقائض ، وكريم الفعال والخلال ، فهو فى الكثير صفة فعل .

٤٤ — الرقيب : أى الذى يراقب الأشياء ويلاحظها فلا يغيب عنه مثقال ذرة .

٤٥ — المجيب : أى الذى يجيب الداعى إذا دعاه ، قال تعالى « **ادعونى أستجب لكم** »(١) .

٤٦ — الواسع : أى المحيط بكل شىء علما ، أو الجواد الذى عمت رحمته كل مؤمن وكافر وكل بر وفاجر ، أو الغنى الكامل . وقال بعض العارفين : الواسع من لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه ، ولا حد لذاته وأسمائه وصفاته جل شأنه وعلا .

٤٧ — الحكيم : أى ذو الحكمة وهى كمال العلم وإحسان الفعل وإتقانه ، أو هو صفة مبالغة فى الحاكم ، فهو على

---

(١) غافر : ٦٠ .

هذا مرجعه للقول ، وعلى ما قبله مركب من صفة ذات وصفة فعـل .

٤٨ — الودود : أى الذى يحب الخير لكل خلقه ويحسن إليهم فى كل الأحوال ولا سيما أولياؤه فهو من صفات الذات والأفعال .

٤٩ — المجيد : أى الماجد البالغ فى المجد والشرف أو الرفيع العظيم القدر ، أو الجزيل فى العطاء ، فهو صفة تنزيه أو صفة فعل

٥٠ — الباعث : أى باعث الرسل للأمم ، وباعث الهمم للترقى فى ساحات التوحيد ، وباعث من فى القبور ، فهو من صفات الأفعال .

٥١ — الشهيد (١) : أى العالم بكل مخلوق ، الحاضر معه فى كل مكان وزمـان « **وهو معـكم أينمـا كنتم** » (٢) ، أو من يشهد على خلقه يوم القيامة ، فمرجعه على هذا للقول وعلى الأول للعلم — الحق — أى الثابت الذى لا يتحول ، أو المظهر للحق ، أو الموجد للشىء كما تقتضيه الحكمة ، فهو صفة ذات على الأول وصفة فعل على ما بعده .

---

(١) من الشهود والحضور .
(٢) الحـديد : ٤

٥٢ — الوكيل : أى القائم بأمور عباده وتسخير ما يحتاجون إليه ، أو الموكول إليه تدبير الخلائق فهو صفة فعل •

٥٣،٥٤ — القوى المتين : أى القوى ذو القدرة التامة البالغة للكمال ، والمتين ، أى البالغ فى الشدة من المتانة وهى شدة الشىء واستحكامه ، فمرجعها لكمال القدرة وشدتها •

٥٥ — الولى : أى المحب الناصر المتولى أمر خلقه •

٥٦ — الحميد : أى المحمود المستحق لكل ثناء لأنه الموصوف بكل كمال المولى لكل نوال فهما من صفات الذات والأفعال •

٥٧ — المحصى : أى الذى أحصى بعلمه كل شىء ، أو القادر الذى لا يشذ عنه شىء ، فهو صفة ذات أو صفة فعل •

٥٨،٥٩ — المبدىء المعيد : أى الذى أظهر الأشياء من العدم ، والذى يعيدها بعد العدم ، قال تعالى : **« كما بدأكم تعودون »** (١) •

٦٠،٦١ — المحيى المميت : أى الذى خلق الحياة فى كل حى وخلق الموت فى كل من أماته ، قال تعالى : **« خلق الموت**

---

(١) الأعراف : ٢٩ •

والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾(١) فهذان واللذان قبلهما من أسماء الأفعال .

٦٢ — الحى : أى ذو الحياة الدائمة ، وهذه صفة قائمة بذاته تصح له الإتصاف بكل صفة .

٦٣ — القيوم : أى القائم بنفســه والمقيم لغيره ذاتا وتدبيرا .

٦٤ — الواجد : أى الذى يجد كل ما أراده فلا يعوذه شىء ، أو الغنى المطلق .

٦٥ — الماجد : أى من المجد والشرف كالمجيد ولكنــه أبلغ منه .

٦٦ — الواحد : أى الذى لا ينقسم بحال ، فهو واحد بذاته وصفاته وأفعاله ، وفى نسخة زيادة الأحد وهو قريب من الواحد جل وعلا .

٦٧ — الصمد : أى السيد الذى يصمد ويفزع إليه فى الشدائد ، أو الذى لا يطعم ، أو المنزه عن الآفات ، أو الباقى الذى لا يزول ، فهو من أسماء الذات أو التنزيه .

---

(١) الملك : ٢ .

٦٨، ٦٩ — القادر المقتدر : أى ذو القدرة البالغة ، إلا أن المقتدر أبلغ لزيادة المبنى .

٧٠، ٧١ — المقدم المؤخر : أى الذى يقدم بعض الأشياء على بعض فى الوجود كتقديم الأسباب على مسبباتها ، أو فى الشرف والقربة كتقديم الأنبياء والصالحين على من عداهم، أو فى المكان كتقديم أجساد علوية على سفلية ، أو فى الزمان كتقديم أطوار وقرون بعضها على بعض كما قضـت حكمته العلية ، فهما من أسماء الأفعال .

٧٢ الأول : اى التقديم السابق على كل شىء .

٧٣ — الآخر : أى الباقى وحده بعد فناء كل شىء ، فهو أول بلا بداية وآخر بلا نهاية .

٧٤ — الظاهر : أى الجلى وجوده بآياته الباهرة .

٧٥ — الباطن : أى الخفى بكنه ذاته عن نظر الخلائق إليه .. الظاهر فليس فوقه شىء ، والباطن فليس دونه شىء .. فهذه الأربعة (١) من أسماء الذات .

٧٦ — الوالى : أى الذى تولى كل شىء وملكه ، فمرجعه للقـدرة .

---

(١) اى الأول والآخر والظاهر والباطن .

٧٧ ــ المتعالى : أى المرتفع عن النقائص البالغ فى العلاء قال تعالى : « **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** » (١) فمرجعه للتنزيه .

٧٨ ــ البر : أى المحسن العظيم .

٧٩ ــ التواب : أى الذى وفق المذنبين للتوبة وقبلها منهم .

٨٠ ــ المنتقم : أى المعاقب للظلمة والعصاة الشاردين .

٨١ ــ العفو : أى الذى يمحو السيئات عمن تاب إليه فهو أبلغ من الغفور لأن الغفر معناه الستر .

٨٢ ــ الرءوف : أى شديد الرأفة والرحمة ، فهو أبلغ من الرحمن الرحيم ، قال تعالى : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** » (٢) .

٨٣،٨٤ ــ مالك الملك : أى الذى يجرى الأمور فيه كما يشاء ، لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .

٨٥،٨٦ ــ ذو الجلال والإكرام ــ أى الذى لا شرف ولا كمال إلا له وحده ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهى منه تعالى .

---

(١) الاسراء : ٤٣ .
(٢) الشورى : ٢٥ .

٨٧ — المقسط : أى العادل الذى ينصف المظلومين ويكسر شوكة الظالمين .

٨٨ — الجامع : أى المؤلف بين شتات حقائق مختلفة وجامع الناس ليوم القصاص « **ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه** .. » (١) . فهذه التسعة (٢) من صفات الافعال .

٨٩ — الغنى : أى المستغنى بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما عداه ، المفتقر إليه كل ما سواه ، فهو من صفات التنزيه .

٩٠ — المغنى : أى الذى يغنى بفضله من شاء من عباده .

٩١ — المانع : أى الذى يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن أبدان وأموال وأديان .

٩٢، ٩٣ — الضار النافع : وهما وصفان بتمام القدرة فلا ضر ولا نفع ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادته ، قال تعالى : « **قل كل من عند الله** » (٣) ولكن الأدب أن ينسب الشر للعبد والخير لله ، قال تعالى : « **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** » (٤) .

---

(١) آل عمران : ٩

(٢) وهى : البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع .

(٣) النساء : ٧٨ .

(٤) النساء : ٧٩ .

٩٤ — النور : أى الظاهر بنفسه المظهر لغيره •

٩٥ — الهادى : أى الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى وأحب من شاء فهداه للخير •

٩٦ — البديع : أى المبدع الذى يأتى بما لم يسبق إليه ، أو الذى لا نظير له بوجه من الوجوه فهذه الأسماء السبعة [١] من صفات الأفعال إلا البديع بالمعنى الثانى فمن صفات التنزيه •

٩٧ — الباقى : أى الدائم الوجود فلا يناله فناء •

٩٨ — الوارث : أى الباقى بعد فناء الموجودات فتبقى بيده الأملاك بعد فناء الملاك كما كانت قبل خلقهم •

٩٩ — الرشيد : أى المرشد لعباده ، أو الذى تجرى تدابيره لغايتها على سنن السداد بلا استشارة ولا إرشاد •

١٠٠ — الصبور : أى الذى لا يعاجل بالقصاص من عصاه ، أو الذى لا يسرع بشىء قبل أوانه ، وهذا أهم من سابقه •

ولهذه الأسماء الرفيعة معان وأسرار لا يعلمها إلا الله تعالى ومن ارتضاهم من عباده الأخيار الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم •• آمين •

---

(١) وهى : المغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع ••

ولقد تأثرت كثيرا بكلام جامع فى مقدمة كتاب (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد)[1] يتحدث فيها مؤلفه رحمه الله تعالى حول أسماء الله الحسنى بأسلوب يؤكد صلته بالله تبارك وتعالى .. وقد رأيت أخا الإسلام كتمهيد لما سنقف عليه بعد ذلك من : (صفات واجبة ومستحيلة وجائزة فى حق هذا الإله العظيم) : أن أزودك بهذا القول المبارك الذى أرجو أن يكون كذلك سببا فى صلتك بالله تبارك وتعالى ، فإليك :

(.. الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل ..) [2] .

وما كان معه من إله ، الذى لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه ، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه « **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير** » [3] عالم الغيب والشهادة الذى استوى فى علمه ما أسر العبد وما أظهر ، الذى علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون « **وما يعزب**

---

(١) تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمى (رحمه الله تعالى) طبعة دار الأرقم ، جـ ١ .

(٢) الاسراء : ١١١ .

(٣) الحج : ٦٢ .

عن ربك مثال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » (١) ، « يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » (٢) • كيف لا وهو الذى خلق وقدر « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٣) رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذى كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين ، الذى غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه فى الكتاب المبين ، الذى وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين • « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير » (٤) •

الملك الحق الذى بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له فى ملكه ولا معين ، المتصرف فى خلقه بما يشاء من الأمر والنهى والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال ، « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (٥) لا راد لاقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه « ألا له الحكم

---

(١) يونس : ٦١ •
(٢) الحديد : ٤ •
(٣) الملك : ١٤ •
(٤) الروم : ٥٠ •
(٥) الأعراف : ٥٤ •

وهو أسرع الحاسبين » (١) ، « لله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » (٢) . القدوس السلام الذى اتصف بصفات الكمال ، وتقدس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال . حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (٣) . المؤمن الذى آمن أولياءه من خزى الدنيا ووقاهم فى الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم فى هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة فى جنة عالية ، المهيمن الذى شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية إنه بعباده لخبير بصير . العزيز الذى لا مغالب له ولا مرام لجنابه ، الجبار الذى له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذى يجبر كل كسير مما به ، المتكبر الذى لا ينبغى الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير . الخالق البارىء المصور لما شاء إذا شاء فى أى صورة شاء من أنواع التصوير ، « هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ، خلق السموات والأرض بالحق

---

(١) الأنعام : ٦٢ .

(٢) المائدة : ١٨ .

(٣) الشورى : ١١ .

وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير » (١) ، « **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير »** (٢) .
الغفار الذى لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة ، القهار الذى قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره ، الوهاب الذى كل موهوب وصل إلى خلقه من فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة ، الرزاق الذى لا تنفد خزائنه ولم يفض ما فى يمينه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله العزيز يرزق كل ذى قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت فى الأعضاء بحكمته تدبيرا متقنا محكما ، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالا وأولادا وأهلا وخدما ، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته ، قضى ذلك قضاء حتما مبرما ، وأشرف الأرزاق فى هذه الدار ما رزقه عبده على أيدى رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير . الفتاح الذى يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم ، يفتح على هذا مالا وعلى هذا ملكا وعلى هذا علما وحكمة « **ذلك فضل الله يؤتيه من**

---

(١) التغابن : ٢ ، ٣ .

(٢) لقمان : ٢٨ .

يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١) ، « **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم »** (٢) ، العليم الذى أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير . علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو من أهل النارفى العذاب المهين « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين »** (٣) ما من جبل إلا ويعلم ما فى وعره ، ولا بحر إلا ويدرى ما فى قاعه « **وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير »** (٤) ، القابض الباسط فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه ، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه ، وكذا له القبض والبسط فى أعمال عباده وقلوبهم ، كل ذلك إليه ، إذ هو المنفرد بالإحياء والإماتة

---

(١) الحديد : ٢١ .
(٢) فاطر : ٢ .
(٣) الأنعام ٥٩ .
(٤) فاطر : ١١ .

والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير • الخافض الرافع ، الضار النافع ، المعطى المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ، ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى ولا معطى لمن هو له مانع فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك فى استطاعتهم بواقع « **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير** » (١) ، المعز المذل الذى أعز أولياءه المؤمنين فى الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القديمة المتظاهرة ، وأذل أعداءه فى الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة ، فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولى ولا نصير • السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى ، القائل لموسى وهارون : « .. **إننى معكما أسمع وأرى** » (٢) فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبا « **وقد خاب من افترى** » (٣) ، « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك**

---

(١) الأنعام : ١٧ .
(٢) طه : ٤٦ .
(٣) طه : ٦١ .

الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١) • الحكم العدل فى قضائه وقدرته وشرعه وأحكامه قولا وفعـــلا « إن ربى على صراط **مستقيم »** فلا يحيف فى حكمه ولا يجور **« •• وما ربك بظلام للعبيـــد »** (٢) الذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما ووعد الظالمين الوعيد الأكيد ، وفى الحديث : (إن الله ليملى للظـــالم حتى إذا أخذه لم يفلتـــه) ، **« وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شـــديد** (٣) ، وهو الذى يضع **« الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظـــلم نفس شيئا •• »** (٤) بل يحصى عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير • (اللطيف) بعباده معافاة وإعانة وعفوا ورحمـــة وفضلا وإحسانا • ومن معانى لطفه : إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بهـــا خبرة وتفصـــيلا وإجمـــالا وسرا وإعلانا ، (الخبير) بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا وكيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا حقيقة وكيفيـــة ومكانا وزمـــانا ، **« •• إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله**

---

(١) الأنعـــام : ١٠٣ •

(٢) فصـــلت : ٤٦ •

(٣) هـــود : ١٠٢ •

(٤) الأنبيـــاء : ٤٧ •

لطيف خبير (١) . (الحليم) فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعاقبهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم ، الذى اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغى العظمة إلا لرب الأرباب ، الذى خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذل لعزته وكبريائه كل كبير . (الغفور الشكور) الذى يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل ، وكل هذا لأهل التوحيد . أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير ، (العلى) الذى ثبت له كل معانى العلو ، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات ، الذى استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنا من جميع المخلوقات ، كما أخبر بذلك عن نفسه فى كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ فى أصح الروايات ، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير . (الكبير) الذى كل شىء دونه ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، كما أخبر بذلك عن نفسه نصا بينا محكما ، (الحفيظ) على كل شىء فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، الذى « **وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما** » (٢) . حفظ أولياءه

(١) لقمان : ١٦ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .

فى الدنيا والآخرة ونجـاهم من كل أمر خطير . (المغيث) لجميع مخلوقاته ، فما استغاثه ملهوف إلا نجاه . (الحسيب ، الوكيل) الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ، **« ومن يتوكل على الله فهو حسبه »**(١) فنعم المولى ونعم النصير . (الجليل) الذى جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال ، (الجميل) الذى له مطلق الجمال فى الذات والصفات والأسماء والأفعال ، (الكريم) الذى لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا فى صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال — ﷺ — ومن كرمه أن يقابل الاساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير . (الرقيب) على عباده بأعمالهم ، (العليم) بأقوالهم وأفعالهم ، (الكفيل) بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم ، (المجيب) لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير (الواسع) الذى وسع كل شىء علمه ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرما وحلما ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفـهم ولا يحيطـون به علمـا ، **« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »**(٢) (الحكيم) فى خلقه وتدبيره إحكاما وإتقانا ، والحكيم فى

---

(١) الطلاق : ٣ .

(٢) الأنعام : ١٠٣ .

شرعه وقدره عدلا وإحسانا ، وله الحكمة البالغة والحجـة الدامغة ، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلا وأقـوم برهانا . فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عـدل ، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . (الودود) الذى يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه فى محكم الآيات (المجيب) لدعوة الداعى إذا دعاه فى أى مكان كان وفى أى وقت من الأوقات ، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستير . (المجيد) الذى هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد . (الباعث) الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد . (الشهيد) الذى هو أكبر من كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدا ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير . (القوى المتين) الذى لم يقم لقوته شيء وهـو الشديد المحال ، الولى للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه ، وإذا أراد بقوم سـوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، (الحميد) الذى ثبت له جميع أنواع المحامد ، وهل يثبت الحمد إلا لذى العزة والجلال ، فله الحمد كما يقول وخيرا

مما نقول ولا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصى العبد الضعيف ثناء على العلى الكبير . (المحصى) الذى حصى كل شىء عددا وهو القائل : **« وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين »** (١) . (المبدىء المعيد) الذى قال وهو أصدق القائلين : **« كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين »** (٢) ، **« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »** (٢) وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نصير . (المحيى المميت) الذى انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنا وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام ، الحى الدائم الباقى الذى لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالى : **« كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام »** (٣) . (القيوم) الذى قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ،ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، فلا يحتاج إلى شىء وكل شىء إليه فقير . (الواحد الأحد) الذى لا شريك له فى إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته

---

(١) يس : ١٢ .
(٢) الروم : ٢٧ .
(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .

وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا ند ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل • (الصمد) الذى يصمد إليه جميع الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب ، فإليه منتهى الطلبات ، ومنه يسأل قضاء الحاجات ، وهو الذى لا تعتريه الآفات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل • فهو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى صفات الكمال ، ولا تنبغى هذه الصفات لغير الملك الجليل • (القادر المقتدر) الذى « إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » ، وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه على كل شىء قدير • (المقدم المؤخر) بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير ، (الأول) فليس قبله شىء ، (والآخر) فليس بعده شىء ، (والظاهر) فليس فوقه شىء ، (والباطن) فليس دونه شىء ، هكذا فسره البشير النذير • — صلوات الله وسلامه عليه — (الولى) فلا منازع له ولا مضاد • (المتعالى) عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد ، (البر) وصفا وفعلا ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة

رسله أنه لا يخلف الميعاد ، (التواب) الذى يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير • (المنتقم) الذى لم يقم لغضبه شىء وهو شديد العقاب والبطش والإنتقـــام العفو بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام ، (الرءوف) بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التــوبة قبل الحمــام (١) ، فقال تعــالى : **« يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنــات تجرى من تحتهــا الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمــانهم يقولون ربنا أتمم لنـــا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير »** (٢) ، (مالك الملك) يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء • (ذى الجلال والإكرام) والعزة والبقاء ، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء ، (المقسط) الذى أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقســط

---

(١) الحمام بكسر الحاء : اى الوت •

(٢) التحريم : ٨ •

(٣) آل عمران :

وما للظالمين من نصير . (الجامع) لشتات الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعـاد ، (الغنى المغنى) فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد فى ملكه طاعة الطائعين ولاتنقصه معصية العاصين من العباد . وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عن بابه طرفة عين ، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد ، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوى وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير . نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك فى كتابه ووصفه محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه ، وقال ﷺ مستعيذا به : (أعوذ بنـور وجهـك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله) . فبصفات ربنا تعالى نؤمن ، ولكتابه وسنة رسوله نحتكم ، وبحكمهما نرضى ونسلم ، وإن أبى الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه ، « **إن الذين يلحـدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير** » (١) .

(الهادى) الذى بيده الهداية والإضلال ، فلا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى « **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد**

---

(١) فصلت : ٤٠ .

له وليا مرشدا » (١) ، **« من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم »** (٢) ، **« قل إن هدى الله هو الهدى »** (٣) ، **« .. ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »** (٤) ، (البديع) الذى أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال ، (الباقى) الذى كل شىء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ، ولا لآخريته زوال . (الوارث) الذى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وإليه المرجع والمآل ، فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير . (الرشيد) فى كل أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم ، (الصبور) الذى لا أحد أصبر منه على أذى سمعه ، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شىء ، ثم هو يرزقهم ويعافيهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ، ولا ضره فيضروه ، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ، ووبال عصيانهم عليهم ، واستغنى الله والله غنى حميد ، **« زعم الذين**

---

(١) الكهف : ١٧ .

(٢) آل عمران : ٥١ .

(٣) البقرة : ١٢٠ .

(٤) لقمان : ٢٠ .

كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (١) .

* فهكذا كما رأينا يكون التعرف على الله تبارك وتعالى من خلال آياته القرآنية وأحاديث حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى عرفه حق المعرفة فكان بسبب هذا أعظم عابد له سبحانه وتعالى وخير قدوة « **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** (٢) .

ولهذا كان لابد وأن يكون العبد الصالح على صلة مستمرة بكتاب الله وسنة رسوله حتى لا تنقطع صلته بهذا الإله العظيم الذى لا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى .

* وحسب هذا العبد الصالح كذلك إذا أراد أن ينمى معرفته بالله تعالى أن يكون من أولى الألباب المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ..** » (٣) . ثم يقولون : « .. **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » (٤) .

---

(١) التغابن : ٧ .　　(٢) الأحزاب : ٢١ .
(٣) آل عمران : ١٩١ .
(٤) آل عمران : بقية الآية ١٩١ .

* كهذا الرجل الموحد الذى يقول :

تأمل سطور الكائنات فإنها
من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها — لو قرأت — سطورها
ألا كل شىء ما خلا الله باطل

* ويقول :

شرد النوم عن جفونك وانظر
حكمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرىء لم يشاهد
حكمة الله أن يذوق المناما

* ويقول :

تبصر حيث كان لك التبصر
وفى ذات الإله دع التفكر
وإن ترد المهيمن حين تذكر
تأمل فى نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
فأنوار المهيمن ساطعات
وأفكار الخلائق حائرات

ولكن الأدلـــة واضــــحات
أصـــول من لجيـــن (١) زاهــرات
على أغصـــانها ذهب سبيك
شـــموس فى البرية مشـــرقات
نجـــوم فى الديـــاجى لامعـــات
بطـــول الدهـــر دوما ســـابحات
إلى ما لســـت أدرى طـــائرات
يطير بها له الجرم السميك
ريـــاض مونقـــات منعشـــات
وألـــوان لعينـــك مدهشـــات
وأغصـــان تســـبرك ناضرات
على قضـــب الزبرجـــد شـــاهدات
بأن الله ليس له شريك

* وما أروع قول الحكيم :

يقـــولون : أين الله ، أين بدائعـــه
وذا الكون سفر واضح وهو كاتبـــه
يشـــكون والإيمـــان ملء قلوبهم
ويبـــدون ما تلك القـــلوب تكذبه !

---

(١) أى الفضـــة .

وأى امرىء فى الـــكون يرسل طرفه
إذا ما بدت أقمـــاره وكواكبـــه !

وليس يقول : الله فى عرش مجـــده
وهذى حواشـــيه وهذى مواكبـــه !

وأى امرىء ما ســـبح الله مـــرة
إذا راقب الأزهـــار وهى تراقبـــه !

عجـــائب ربى فى الأنـــام جليلـــة
ولكن جهـــل المرء لا شـــك غالبـــه !

* وصدق الله العظيم فهو القائل :

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون • سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون • وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون • والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقـــدير العزيز العليم • والقمر قـــدرناه منـــازل حتى عـــاد كالعرجون (١) القديم • لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليـــل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٢) •

---

(١) العرجون : شمراخ البلح •

(٢) سورة يس : ٣٣ — ٤٠ •

* وقـــد ورد :

(حسبكم الكون معجزة . انظروا إلى الأرض فهى من عجائب صنع الله ، وآية على وجوده وعظمته ، خلقها لكم وسلك لكم فيها سبلا ، تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه ، ثم انظروا إلى السحاب المسير في الآفاق يسح (١) بمائه فيحيى أرضا مواتا ، ويخرج منه زرعا ونخيلا وأعنابا ، ثم انظروا إلى الأنعام خلقها لكم تجعـــل المرعى لبنـــا ســـائغا للشاربين ، ثم انظروا فى أنفسكم فإنكم معجزة : لقد كنتم صغارا ، ومن قبل لم تكونوا شيئا مذكورا ، ثم وهب لكم الله العقل والقوة والجمال والرحمة ، أشرف الصفات) .

* ومن أجمل ما قرأت في هذا كذلك تحت عنوان (٢) :

من دلائل قـــدرة الله

قصيدة لفضيلة الأستاذ الشيخ الصاوى شعلان رحمه الله تعالى يقول فيها مشيرا إلى عظمة الخالق سبحانه وتعـــالى وتمس شغاف قلوب المؤمنين الموحدين :

---

(١) السح : الصب والسيلان من فوق .

(٢) فى كتاب : مع الله ، نظرات فى الكون والحيـــاة ، للاستاذ عبد الجواد رجب .. طبعة دار الاعتصام .

نشر الصبح على الدنيا سناه

وسقى الروض رحيقا من نداه

واكتسى الروض من النور حلاه

الندى من فيض من ؟!

والضحى من نور من ؟!

* * *

أقبلت فى بسمة الفجر الطيور

تسكب الألحان عطرا فى الزهور

تصنع العش وتسعى فى البكور

عيشها فى رزق من ؟!

وهى أيضا صنع من ؟!

* * *

حوت الأرض أفانين الشجر

بين ألوان وطول وقصر !!

وغصون مورقات وثمر

منبت الأشجار من ؟!

راسم الألوان من ؟!

* * *

وترى الشمس عروس المشرق

وجمال البدر عند الأفق

سابحا فى الطيلسان الأزرق

الدرارى صنع من ؟!

والسموات لمن ؟!

***

داعب النحل من الزهر شذاه

وأحال الورد شهدا فى رباه !!

وبنت هندسة النمل قراه

مرشد النحلة من ؟!

ملهم النملة من ؟!

***

الجنين استقبل الرزق الجديد

وتوالى وهو فى المهد السعيد !

قبل أن تنبت أسنان الوليد

اطعمته يد من ؟!

صورته يد من ؟!

***

لم يا مخلوق آثرت الجحود ؟!

كنت معدوما فمن أين الوجود ؟!

أهى الصدفة أم رب ودود

قبــله فى الــكون من ؟!

بعــده فى الملــك مــن ؟!

* * *

لو تنبــاهيتم إلى بســر الحيــــاة

وصــنعتم كائنــا حيــــا نراه !!

لم نزد إلا يقينــا بالإله !!

* ومن أجمل ما قرأت كذلك حول موضوع :

البراهين الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى

ما قاله صاحب كتاب (معارج القبول) حول « إثبات ذات الرب جل وعلا » حيث يقول : فإن هــذه العوالم العلويات والسفليات لابد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها. ومحال أن توجد بدون موجد ، ومحال أن توجد أنفسها . قال الله تبارك وتعالى فى مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية:

*** « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » (١) .**

---

(١) الطــور : ٣٥ ، ٣٦ .

قال ابن عباس رضى الله عنه : ((**أم خلقوا من غير شىء**)) أى : من غير رب ، ومعناه : أخلقوا من غير شىء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك مما لا يجوز أن يكون الأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الإسم فلابد له من خالق ، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق . (**أم هم الخالقون**) لأنفسهم وذلك فى البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق ، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به (**أم خلقوا السموات والأرض**) وهذا فى البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلا عن أن يكون موجـدا لغيره ، وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له (**بل لا يوقنـون**) أى : ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك .

* وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : سـمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب (١) بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ((**أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون**)) (٢) . كاد قلبى أن يطير . (أخرجاه فى الصحيحين) .

---

(١) أى فى صلاة المغرب .   (٢) الطور : ٣٧ .

وكثيرا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الإستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى :

* « **وفى الأرض آيات للموقنين** » (١) ، أى : فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ، ولهذا قال الله عز وجل :

* « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » (٢) ، قال قتادة : من تفكر فى خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة ، وكذا فى ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى نفخ الروح فيه . وقال تعالى:

* « **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ، والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** » (٣) .

---

(١) الذاريات : ٢٠ . (٢) الذاريات : ٢١ .
(٣) الذاريات : ٤٧ — ٤٩ .

يقول الله تعالى منبها على خلق العالم العلوى والسفلى : ((والسماء بنيناها)) أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا ((بأيد)) أى بقوة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد ، ((وإنا لموسعون)) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : لقادرون ، وعنه أيضا : لموسعون الرزق على خلقنا . وقيل : ذو سعة . وقال ابن كثير : أى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هى . ((والأرض فرشناها)) أى جعلناها فراشا للمخلوقات ، ((فنعم الماهدون)) الباسطون نحن . قال ابن عباس : نعم ما وطأت لعبادى . ((ومن كل شىء خلقنا زوجين)) صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض ، والشمس والقمر والليل والنهار ، والبر والبحر والسهل والجبل ، والشتاء والصيف ، والجن والإنس ، والذكر والأنثى ، والنور والظلمة ، والإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة والجنة والنار ، والحق والباطل ، والحلو والمر ، والدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والجامد والنامى والمتحرك والساكن ، والحر والبرد وغير ذلك . ((لعلكم تذكرون)) أى لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له . أ.هـ ابن كثير والبغوى . وقال تعالى :

*** ((إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل**

الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

قال أبو الضحى : لما نزلت (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) قال المشركون : إن كان هكذا فليأتنا بآية ، فأنزل الله عز وجل : **« إن فى خلق السموات والأرض »** تلك فى ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة، والثوابت ودوران فلكها ، وهذه الأرض فى كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع « واختلاف الليل والنهار » هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ، ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : **« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »** (٢) ، وتارة يطول هذا ، ويقصر هذا ، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان ، كما قال تعالى : **« يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل »** (٣) . أى يزيد من هذا فى هذا ومن هذا فى هذا (والفلك تجرى

---

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) سورة يس : ٤٠ .

(٣) الحديد : ٦ .

فى البحر بما ينفع الناس) أى فى تسـخير البحر بجمـل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والإنتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء . « .. **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها** .. » (١) . كما قال تعالى : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون** (٢) . **إلى قوله** : « **ومما لا يعلمون** »(٣) « **وبث فيها من كل دابة** » (٤) على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شىء من ذلك كما قال تعالى : « **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتـاب مبين** » (٥) . [**وتصريف الرياح**] **فتـارة تأتى** بالرحمة وتارة تأتى بالعذاب وهى الريح ، وتارة تأتى مبشرات بين يدى السحاب ، وتارة تسوقها ، وتارة تجمعه ، وتارة تفرقه ، وتارة تصرفه ، ثم تارة تأتى من الشمال وهى الشامية ، وتارة تأتى من ناحية اليمن ، وتارة صبا وهى الشرقية ، وتارة دبور وهى غربية وغير ذلك والله أعلم [والسحاب المسخر بين

---

(١) البقرة : ١٦٤ .
(٢،٣) سورة يس : ٣٣ — ٣٦ .
(٤) البقرة : ١٦٤ .
(٥) هـود : ٦ .

السماء والأرض) أى سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشـــاء الله من الأراضى والأماكن كما يصرفه تعـــالى . (لآيات لقوم يعقلون) أى فى هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى (لقوم يعقلون) فيعلمون أن لهذه الاشياء خالقا وصانعا غنيا بذاته وكل ما سواه فقير إليه ، قائم بذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره ، متصف بجميع صفات الكمال ، وكل ما سواه فلازمه النقص وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله تبارك وتعالى . وقال تبارك وتعالى :

*** ومن آياته أن خلقـــكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته ان خلق لكم من أنفســـكم ازواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون »** (١) .

---

(١) الروم : ٢٠ — ٢٥ .

يقول تعالى : (ومن آياته) الدالة على عظمته وكمال قــدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقة ، ثم مضغة ، ثم صار عظاما شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم أخرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبنى المدائن والحصون ويسافر فى أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر ، ورأى وعلم ، واتساع فى أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم فى فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم فى العلوم والفكر ، والحسن والقبيح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة .

* وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسـهل والحزن وغير ذلك) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح . (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)

أى خلق لكم من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا (لتسكنوا إليها) كما قال تعالى : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) . يعنى بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر ، ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته ببنى ادم أن جعل الأزواج من جنسهم (وجعل بينهم مودة) وهى المحبة (ورحمـــة) وهى الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها او لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه فى الإنفـــاق أو للألفة بينهما وغير ذلك (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى عظمة الله وقدرته (ومن اياته) الدالة على قدرته العظيمة (خلق السموات والأرض) أى خلق السموات فى ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الأرض فى انخفاضها وكثافتها وما فيهـــا من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار . (واختلاف ألسنتكم) يعنى اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء لهم لغة أخرى ، وهؤلاء كرج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بربر ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء فرس ،

وهؤلاء صـــقالية ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من أختلاف لغات بنى آدم ((والوانكم) أى واختلاف الوانكم ابيض وأسود واحمر ، وانتم اولاد رجل واحد ، وامرأة واحدة ، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى ، لجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لابد أن يفارقه بشىء من السمت أو الهيئة او الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئته لا تشبه أخرى ، ولو توافق جماعة فى صـــفة من جمال وقبح لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ((إن فى ذلك لآيات للعالمين • ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم فى الليل فإن فيه تحصل الراحة وســـكون الحركة وذهاب الكلال والتعب ، وجعل لكم الإنتشار والسعى فى الأسباب والأسفار فى النهار وهذا ضد النوم ((إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار • ((ومن آياته)) الدالة على عظمته أنه ((يريكم البرق خوفا وطمعا) أى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتى بعده من المطر المحتاج

إليه ، ولهذا قال تعالى : ((وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها) أى بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شىء فلما جاءها الماء ((اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وفى ذلك عبرة ودلالة واضحة على الميعاد وقيـــام الساعة ، ولهذا قال تعالى ((إن فى ذلك الآيات لقوم يعقلون) ((ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) كقوله تعالى ((**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**) وقوله تعالى : « **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده** ». وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد فى اليمين قال : ((والذى قامت الســـموات والأرض بأمره) أى هى قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعـــالى ودعائه إياهم ، ولهذا قال تعالى : « **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ». أى من الأرض . كمـــا قال تعـــالى : « **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا** »(١) وقال تعالى : « **فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** »(٢) وقال تعالى : « **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع**

---

(١) الاسراء : ٥٢ .

(٢) النازعات : ١٣ ، ١٤ .

لدينا محضرون » (١) والآيات فى هـذا الباب العظيم من الإستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى واجل من أن تستقصى ، وفيما ذكرنا كفـاية وغنى يغنى عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها ، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر واجل واعظم من أن يحتاج فى معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات ، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يك من قبل شيئا ، فلم يذهب يستدل بغيره وفى نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم ، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك ، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة ، ولهذا قال تعالى فى كفرهم بآياته : **« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا »** (٢) • فكيف بوجود الخالق تبـارك وتعالى • ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جـاءوهم بالبينـات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا : **« إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب• قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض »** (٣)• وهذا يحتمل شيئين : أحدهما أفى وجوده تعالى شـك ،

---

(١) يس : ٥٣ •
(٢) النمل : ١٤ •
(٣) ابراهيم : ٩ ، ١٠ •

فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الإعتراف به ضرورى فى الفطر السليمة ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والإستهزاء ، فيجب إقامة الحجة عليهم للأعذار إليهم ، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته فقالوا : (فاطر السموات والأرض) الذى خلقها وابتدعها على غير مثال سبق ، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلابد لهما من خالق وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شىء ومليكه ، والمعنى الثانى فى قولهم (أفى الله شك) أى فى إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التى يظنونها تنفعهم أو تقربهم ، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين : لا ، أى لا شك فيه .

** وقد نقل عن الأئمة وعن غيرهم فى هذا الباب :

* عن الإمام مالك رحمه الله تعالى : أن الرشيد سأله عن ذلك فأستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

* وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود البارى تبارك وتعالى فقال لهم : دعونى

فإنى مفكر فى أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهى مع ذلك تذهب وتجيء وتسـير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل . فقال : ويحكم !! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى والسفلى وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

* وعن الشافعى رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل ، فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسيم (١) ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا ، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك . وهو شيء واحد .

* وعن الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفـذ ظاهر كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينا هو كذلك إذا تصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شـكل حسن وصوت مليح اهـ يعنى بذلك البيضة إذا خرج منهـا الديك .

---

(١) أى الحرير .

* وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل فى رياض الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات
بأحداق هى الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

* وقال ابن المعتز ، ويروى لأبى العتاهية رحمهما الله تعالى :

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم
كيف يجحده الجاحد

ولله فى كل تحريكة
وفى كل تسكينة شاهد

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

* وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : يا سبحان الله ، إن البعر يدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ،

وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

* ومن خطب قس بن ساعدة الإيادى رحمه الله ، وكان على ملة إبراهيم عليه السلام : أيها الناس ، اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا أو إذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إن فى السماء خبرا ، وإن فى الأرض عبرا ، يحار فيهن البصير ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار لا تفور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد القسطاس ووزن القسطاس .

أقسم قس قسما ، لا كاذبا فيه ولا آثما . لئن كان فى هذا الأمر رضى ليكونن سخط ، ثم قال : أيها الناس ، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ، وفى بعض ألفاظها قال : شرق وغرب ، ويتم وحرب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ،

وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات فى إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضل الأنام نشؤ مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغنى ، ومحسن ومسىء ، تبا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد ، وأعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى ، أما بعد فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، وأين العليل والعواد ، كل له معاد . يقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الإفراد ، فى يوم التناد ، وإذا نفخ فى الصور ، ونقر فى الناقور ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر ، فى يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

*وهذا كسرى أنوشروان ملك الفرس يقول وقد صفت نفسه ، وأشرق فكره يخاطب الفلك : إن بناء أنت سقفه لعظيم ، وإن بيتا أنت غطاؤه لجليل ، وإن شيئا أنت تظلله لكبير ،

وإن فيك عجبا للمتعجبين ، فليت شعرى ، أعلى عمد من تحتك تستمسك ،أم بمعاليق من فوقك ؟ ولعمرى إن ملكا أمسكتك قدرته لملك عظيم ، وإنه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير ، وإن من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لغر صغير • وليت شعرى : أيتهـا الأفلاك : بم طلوعك حين تطلعين ، وبم مسيرك حين تسيرين ، وأفولك حين تأفلين ، وعلام سقوطك حين تغيبين ؟!! ليت شعرى . أساكنة أم تتحركين ، أم كيف صفتك التى بها تتصفين ؟! ولونك الذى به تتسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التى بها تعرفين ؟!

فسبحان من لأمره تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ، ورجوعك حين ترجعين) •

* ولله در الشاعر الأزهرى الشيخ محمد الأسـمر رحمه الله تعالى ، فلقد قال كلاما يكتب بمداد من الذهب على صحائف من نور •• إن دل على شىء فإنما يدل على إن الرجل كان موحدا وكان من الذين عرفوا الله تبارك وتعالى حق المعرفة •• وفيه يقول مناجيا ربه سبحانه وتعالى ومثنيا عليـه :

تعـاليت يارب ما أجلك •• خلقت الخلق ، وأجريت الرزق •• بك ينمو الزرع ، ويدر الضرع •• سبحانك اللهم

ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانك .. السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك .. تباركت وتعاليت .. صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنت .. الجن والإنس خلقك ، والجسم والروح عملك .. لا إله إلا أنت .. منحتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك يسبح الرعد بحمدك ، ويترنم الطائر بمجدك .. البحار لا تقر من خشيتك، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد جرى النسـيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق فى رحمتك .. تباركت تباركت .. لا أول قبلك ، ولا آخر بعدك .. كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ؟.. فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن .. تعاليت تعاليت .. آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك .. سبحانك سبحانك .. بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك .. ماء وحجر، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصادح وباغم .. أنبت لنا من الأرض عجبا .. نخيل وأشجار ، وأزهير وثمار .. رب من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، وأشكالها المتباينة ، وألوانها المتغايرة ؟.. من أين كل هذا يارب .. سائغ وغير سـائغ ، وناصع وفاقع .. تباركت مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء . سبحانك اللهم سبحانك .. جلت

عظمتك ، وتعالت قدرتك .. أعجزت الإنسان بالجبال والنمال بل أعجزت الإنسان بذات الإنسان .. عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر و شعر ، وسمع وبصر .. قلت للسان ذق وهو لحمة فذاق ، وقلت للعين أبصري وهي شحمة فأبصرت .. سبحانك اللهم .. وهذا القلب الخافق بم يخفق ؟! أشهد أن لا إله إلا أنت رب المشارق والمغارب ، والنجوم والكواكب.. تباعدت فهي منفصلة ، وتجاذبت فهي متصـــلة .. عجزت عقـــولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقت فكيف تحيط بك .. سبحانك سبحانك .. هذه دنياك فكيف آخرتك .. وهذا شأن آثارك فكيف شأنك .. تباركت من إله صادق ، وتعاليت من رب حق .

نعم ، هذا هو الإله العظيم الذي لا شك في وجوده ، والذي لن نستطيع أبدا أن نحصي نعمه أو نعدد آثاره علينا وعلى غيرنا من المخلوقات الأخرى التي جميعها تسبح بحمده سبحانه وتعالى .

تالله لو ســجدنا بالعيــون له

على شبا (١) الشوك والمحمي من الإبر

---

(١) شبا الشوك : أطرافه .

لم نبلغ العشر من مشار نعمته
ولا العشير ولا جـزءا من العشـر

لأنه الرب العظيم « **الذى خلق فسوى • والذى قدر فهدى • والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى** » (١) •

ولهذا كان من الخير لكل إنسان عاقل — ذكرا كان أم أنثى — أن يكون على صـلة بهذا الإله الخالق البـارىء المصور الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، والذى : « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » (٢) •

وذلك بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى •• لأن الذكر الصحيح هو أقرب الطرق إلى الله تبارك وتعالى •• ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

* « فاذكرونى **أذكركم** » (٣) •

وقد ورد فى حديث صحيح متفق عليه :

* عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه

---

(١) سورة الاعلى : ٢ — ٥ •
(٢) الشـورى : ١١ •
(٣) البقرة : ١٥٢ •

إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ (١) ذكرته فى ملأ (٢) خير منهم » .

* وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها (٣) عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى ، قال : « ذكر الله تعالى » رواه الترمذي ، قال الحاكم أبو عبد الله : إسناده صحيح .

* وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به (٤) ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

فاذكر كل هذا أخا الإسلام ، مع ملاحظة ما جاء فى هذه النصيحة التى يقول فيها الشيخ محمد محرم العمروسى

---

(١) جماعة الذاكرين .

(٢) أى الملائكة .

(٣) أى أطهرها وأكثرها ثوابا .

(٤) أى أعتصم حقيقة به أو مجاز .

رحمه الله مرشدا إيانا نحن الذاكرين — إن شاء الله — إلى أكمل الحالات :

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه
رءوس المعاصى واتخذ منه جوشنا
وبادر إلى إنكار ما كان خارجا
عن الحق واحذر أن تكون مداهنا
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة
إلى عرض الدنيا المعرض للفنا
ولا تجعل المقصود منه تكسبا
فتنحط قدرا من علاك وتفتنا
ولا تتخذه للرياسة سلما
فتغضب مربوبا وربا مهيمنا
وتأتى ما تأتى رياء وسمعة
وتتخذ الشرك الخفى تدينا
وليست بإرخاء الشعور ولاية
إذا كان منك القلب أسود عاطنا
وليست بإظهار التباله خدعة
إذا كان فيك الغش والمكر كامنا
وغير مفيد لبس تاج وخرقة
إذا كان إبليس بجسمك ساكنا

فوجد هوى ليلى لتحظى بوصلها
وترقى بلقياها وتظفر بالمنى
ومادمت مأسوراً لنفسك والهوى
فمازلت فى سجن القطيعة قاطنا
فطلق هداك الله نفسا خؤنة
طلاقا صريحا بالثلاثة بائنا
فما هى إلا ذات سم مخبأ
واعدى عدو فى الحشا متوطنا
وإلا فدع دعوى الصلاح ولا تكن
بغير فلاح للولاية معلنا
وخل مقامات الرجال لأهلها
وعش خاليا فالحب راحته عنا
فيا فقراء الوقت مالى أراكموا
أتيتم أمورا لا تحل بشرعنا
فكم بدع أحدثتموها بجهلكم
وصرتم عليها عاكفين نيومنا
جعلتم طريق القوم رقصا وصيحة
ومنكر أصوات يهيج للغنا
وملأ بطون من غذا لم يفد سوى
تجشيئكم يا قوم حول بيوتنا

وتحصيل أرزاق وضرب عوائد
على الناس تأباها قواعد ديننا
وحرفتموا التهليل عن وضعه الذى
أتانا به التنزيل من عند ربنا
وطرقتموا فيه طرائق لم يكن
عليها رسول الله والقوم قبلنا
أكان رسول الله يصحب منشدا
ينادى بأعلى الصوت ليلا مدندنا
فما زدتموا المردان إلا تمردا
وما زدتموا الشيبان إلا تشيطنا
وما زدتموا الجهال إلا جهالة
وبعدا عن الأخرى وقربا إلى الدنا
فكن عالما بالشرع واعمل به فمن
أراد طريقا دون علم فقد جنى
ولا ينبغى للجاهلين تصدر
ولا نشر أعلام الشريعة بيننا
ألم يعلموا أن الطريق كناية
عن العمل الجارى على وفق شرعنا
وذبح النفوس الضاريات بمدية
من الخلق حتى لا تميل إلى الخنا

وزهد عن الدنيا وعن شهواتها
وعمن يراها أكبر الهم مفتنى
وجوع وصمت واعتزال وفكرة
بها حضرة الرحمن تدخل آمنا
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا
ويغرق فى بحر المدامع أعينا
يكون بجد واجتهاد وهمة
مشمرة لا بالتكاسل والونا
وعلم وحلم واقتداء بعارف
دسائس للشيطان والنفس والدنا
فمن لم يصاحب شيخ صدق ومخلص
يكون له الشيطان شيخا ملقنا
فأخلص هداك الله تخلص فهذه
طريقتنا الغراء دانية الجنى

** فافهم هذه النصيحة أخا الإسلام وذكر بها هؤلاء الأدعياء الذين يزعمون أنهم من أهل الطريق السوى وهم فى الحقيقة من أهل الطرق الأخرى التى لا توصل إلا إلى النار ، لأنها تخالف شرع الله **« وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »** (١) .

---

(١) الكهف : ١٠٤ .

* وقد قرأت أن سيدى إبراهيم الدسوقى رحمه الله تعالى كان إذا أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، واتبـــاع جميع الأوامر المشروعة والأخبـــار المرضية والإشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقادا ، ولا تنظر يا ولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشـــها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمــدا ﷺ فى أخلاقه فإن لم تستطع فاتبع خلق شيخك ، فإن نزلت عن ذلك هلكت مع الهالكين •

* وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه •• وكان يقول : علمنا هذا مقتد بالكتاب والسنة ••

* ولله در شيخنا وإمامنا الشـيخ محمود خطـــاب السبكى رحمه الله تعالى فلقد قال فى كتابه (المقامات العلية) كلاما هاما ، جاء فيه :

اعمــــل بآثــار النبى فإنهــا النــور المبيــن
واقبــل نصيحتها ففيهـا العز والشرف المكين
واشدد يمينك بالشريعــة إنها السـبب المتين

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ، وقل لهؤلاء المبتدعين الضالين المضلين الذين يرقصون ويطبلون ويزمرون بدعوى أنهم يذكرون :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا اهتزاز ولا رقص إذا غنى المغنون
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتقى الله والقرآن والدين

** هذا ، وإذا كان لنا بعد هذا التقديم الذى كان لابد منه حتى نتعرف من خلاله على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ونعرف الأدلة النقلية والعقلية على وجوده من خلال آياته البينات التى من أهمها أنفسنا ، فهى من أكبر الأدلة الباهرة على وجود الخالق المبدع سبحانه وتعالى :

أريد بعد كل هذا ، وقبل أن ننتقل إلى (موضوع الكتاب) وهو : الواجب ، والمستحيل ، والجائز فى حق الله تبارك وتعالى • أن نقف على بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بهذا الموضوع ، وهى [1] :

---

(١) كما جاء فى مذكرات التوحيد ، لفضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى .. أكرمه الله تعالى •

حقيقة المعرفة والتقليد والدليل

فأما المعرفة فهى : (إدراك جازم مطابق للواقع ناشىء عن دليل) كاعتقاد من توصل بالدليل إلى أن البعث حق (فإدراك) جنس يشمل الجازم وغير الجازم ، والمطابق للواقع وغير المطابق ، والناشىء عن دليل والخالى عن الدليل (وجازم) : قيد أول يخرج الظن والشك والوهم فليست معرفة (ومطابق للواقع) : قيد ثان : يخرج الإدراك الجازم المخالف لما فى الواقع فليس معرفة بل جهل مركب كاعتقاد الفلسفى قدم العالم (وناشىء عن دليل) : قيد ثالث يخرج الإدراك الجازم المطابق للواقع الخالى عن الدليل فليس معرفة بل هو تقليد •

وأما التقليد فهو : (الأخذ بقول غير المعصوم واعتقاده من غير معرفة دليل له ، فإذا أخبرك شخص غير معصوم بأن البعث حق فاعتقدت هذا الحكم من غير أن تعرف له دليلا كنت مقلدا له فى ذلك الحكم •

وأما الدليل : فيراد به عند المتكلمين ما يوصل إلى اليقين بعقائد التوحيد ، وهو قسمان نقلى وعقلى • فالنقلي آيات القرآن الصريحة فى دلالتها والأحاديث المقطوع بصحة روايتها ، كقوله تعالى : « إن الله على كل شىء قدير » (١)

فإنه يوصل إلى اليقين بثبوت القدرة لله تعالى ، وقوله ﷺ (أنا العاقب فلا نبى بعدى) فإنه يوصل إلى اليقين بأنه عليه السلام خاتم النبيين .

والدليل العقلى : ما لم يكن من كتاب أو سـنة ، وهو قسمان : تفصيلى وإجمالى ، فالدليل التفصيلى هو المقدور على تقريره وتفصيله ودفع الشبه الواردة عليه ، كقـول العالم : دليل وجود الله هذه المخلوقات ، فإن العالم يقدر على تفصيله بقوله : هـذه المخلوقات حادثة فلابد لها من محدث ، وذلك المحدث الموجود يجب أن يكون وجوده لذاته وهو الله ، وإذا وردت عليه شبهة أمكنه دفعها ، فالأدلة العقلية التى يستدل بها العالم أدلة تفصيلية ، فصلت بالفعل أم لم تفصـل .

والدليل الإجمالى : هو المعجوز عن تقريره وتفصيله ودفع الشبهة عنه ، كقول العامى : دليل وجود الله هذه المخلوقات ، فإن العامى يعجز عن تقريره وتفصيله وإذا وردت عليه شبهة لا يستطيع دفعها ، فالأدلة العقلية التى يستدل بها العامى أدلة إجمالية لعجزه عن تفصيل الأدلة ودفع الشبه عنها .

المعرفة والتقليد فى عقـــائد التوحيـــد

وقد اختلف العلماء فى كفاية التقليد فى عقائد التوحيد وعدم كفايته ، فذهب جمـاعة إلى آن التقليد لا يكفى فى العقائد ولا يحصل الإيمان ، وأن المقلد فى العقائد غير مؤمن عند الله وعندنا ، فلا يدخــل الجنــة ، ولا نعــامله معاملة المسلمين ، وبنوا هذا على أن الدليل فى العقائد واجب وجوب الأصول ، وأنه شرط لصحة الإيمان ، وهذا المذهب هــو خلاف الراجح •

وذليلهم : أن المكلف مطالب بالمعرفة ، والمعرفة اعتقاد جازم مطابق للواقع ناشىء عن دليل ، وبانتفاء الدليل تنتفى المعرفة ، ومتى انتفت المعرفة انتفى الإيمان ، لأن الإيمان إما نفس المعرفة أو حديث النفس التابع للمعرفة •

وذهب آخرون إلى أن التقليد يكفى فى العقائد ويحصل الإيمان المطلوب وأن المقلد مؤمن عنــد الله وعندنا ، لأن المطلوب التصديق بالعقائد ، وقد تحقق ذلك من المقلد ؛ إلا أنه إذا كان قادرا على الدليل يأثم بتركه كما يأثم بترك نحو الصوم ، وبنوا هذا على أن الدليل فى العقائد واجب وجوب الفروع وأنه غير شرط لصحة الإيمان بل لكماله ، وهذا هو المذهب الراجح •

ودليلهم : أن المكلف مطالب بالإيمان ، والإيمان قد بينه المصطفى ﷺ حين سئل عنه بقوله : ((أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ــ الحديث)) فذكر عليه السلام التصديق مجردا عن الدليل ، فلا يكون الإيمان متوقفا على الدليل ، والمقلد وجد منه التصديق الجازم بالعقائد فيكون آتيا بالمطلوب •

والدليل الذى اختلفوا فى أنه شرط لصحة الإيمان أو غير شرط هو الدليل الإجمالى ، لأنه الميسور لعامة الناس ، أما الدليل التفصيلى فلا خلاف بينهم فى عدم توقف الإيمان والمعرفة عليه (وأنه ليس واجبا عينيا على كل مكلف ، لأنه ليس مقدورا إلا للعلماء ، بل هو واجب كفائى لدفع الشبه الواردة على العقائد ، فإذا أتى به البعض سقط الوجوب عن غيره •

حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيه

الإيمان لغة مطلق التصـــديق ، وشرعا فيه مذاهب ، والمشهور منها مذهبان : أحدهما الأشاعرة والماتريدية وهو أن الإيمان (تصديق النبى ﷺ بالقلب فيما علم مجيئه به من الدين بالضرورة) أى التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد ﷺ وصار العلم به يشابه العلم

الحاصل بالضرورة بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر والزنا .

ويكفى التصديق الإجمالى فيما يلاحظ إجمالا . كغالب الملائكة ، والأنبياء ، والكتب . ويشترط التصديق التفصيلى فيما يلاحظ تفصيلا كسيدنا محمد ، وإبراهيم ، وعيسى ، وجبريل ، وميكائيل ، والقرآن ، والتوراة ، والانجيل .

والمراد بتصديق النبى : الإذعان والقبول لما جاء به وترك العناد والتكبر ولا يكفى مجرد اعتقاد صدق النبى ، فإن كثيرا ممن كانوا فى زمنه عليه السلام ، كانوا يعتقدون صدقه ومع ذلك لم يكونوا مؤمنين ، لأنهم لم يذعنوا له ، ولم يقبلوا ما جاء به ولم يتركوا العناد والتكبر . قال تعالى :

« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١) .

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (٢) .

وعلى هذا المذهب : فالنطق بالشهادتين والأعمال الصالحة غير داخلين فى حقيقة الإيمان لأنه مجرد التصديق

---

(١) البقرة : ١٤٦ .

(٢) النمل : ١٤ .

بالقلب . بل الأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان . والنطق بالشهادتين شرط لإجراء الأحكام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد الدخول فى الإسلام لأن الإيمان خفى فلابد له من علامة ، وهى النطق بالشهادتين فى حق القادر على النطق أو ما يقوم مقام النطق بهما فى حق العاجز عن النطق .

فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله وعندنا . فيستحق الجنة ونعامله معاملة المسلمين . ومن صدق بقلبه منهم ولم ينطق بالشهادتين وهو قادر على النطق فهو مؤمن عند الله فيستحق الجنة ، وليس بمؤمن عندنا فلا نعامله معاملة المسلمين . أما من بلغ من أولاد المسلمين فإن النطق بالشهادتين غير شرط لإجراء الأحكام الدنيوية عليه . بل هو مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته . لأن الأصل فيه الإيمان . إلا إذا ظهر عليه ما يدل على عدم إيمانه فنحكم عليه بالكفر .

والنطق بالشهادتين واجب وجوب الفروع مرة فى العمر كحمد الله تعالى والصلاة على النبى ﷺ ، فمن

المذهب الثانى فى حقيقة الإيمان هو ما نقل عن الإمام أبى حنيفة ، واشتهر عن أصحابه وبعض الأشاعرة ، وهو

أن الإيمان : (تصديق بالقلب ونطق بالشهادتين) فهو مركب من جزأين ولا يتحقق إلا بهما معا ، إلا فى حق العاجز عن النطق والمكره فإن إيمانهما يتحقق بتصديق القلب ولا يتوقف على النطق بالشهادتين ، فالتصديق جزء لا يحتمل السقوط أصلا ، والنطق بالشهادتين جزء يحتمل السقوط عند العجز أو الإكراه ، قال تعالى :

« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .. » (١) .

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٢) .

حقيقة الإسلام وبيان المذاهب فيها

الإسلام لغة مطلق الإنقياد . وشرعا فيه مذهبان : أحدهما لجمهور الأشاعرة وهو : أن الإسلام (الإمتثال الظاهرى لأوامر الشرع ونواهيه وقبولها وعدم ردها) سواء أعمل الممتثل بمقتضى تلك الأوامر والنواهى أم لم يعمل .

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متغايران لأن الإسلام هو الإمتثال الظاهرى ، والإيمان هو التصديق الباطنى ، إلا أنهما متلازمان فى التحقق بحسب الشرع ،

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) النحل : ١٠٦ .

فلا يوجد إسلام معتبر شرعا بدون إيمان وبالعكس ، ولا يوجد مسلم ناج ليس بمؤمن وبالعكس ، وقد يوجد إسلام بدون إيمان كما فى المنافقين ، إلا أن هذا الإسلام غير معتبر شرعا ولا ينجى صاحبه •

ثانى المذهبين فى حقيقة الإسلام مذهب جمهور الماتريدية وبعض محققى الأشاعرة ، وهو أن الإسلام شرعا: (الاذعان الباطنى والتصديق بما جاء به النبى محمد ﷺ مما علم من الدين بالضرورة) •

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متحدان فى المعنى ومتغايران فى اللفظ ، والنطق بالشهادتين دليل على ما فى القلب من الإيمان والإسلام •

ما اعتبره الشارع منافيا للإيمان

اعتبر الشارع الحكيم أمورا تنافى الإيمان ، يدل وجودها على فقد الإيمان من قلب مرتكبها ، منها السجود لصنم ووصف الله تعالى بما لا يليق بذاته المقدسة ، وسب أنبيائه وملائكته وكتبه ، والاستخفاف بالمصحف والكعبة ، والاستهزاء على الشريعة واستحلال المحرم المجمع على تحريمه كشرب الخمر ، وإنكار ما علم من الدين بالضرورة

كإنكار وجوب الصلاة ، فمن اتصف بنحو هذه الأمور حكمنا عليه بالكفر لأن وجودها دليل على أن قلبه غير عامر بالإيمان .

وهكذا كما ترى أخا الإسلام كان لابد وأن تكون على علم بكل تلك الأساسيات العقائدية التى يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى ، حر أو رقيق ان يعتقدها ، فيجب عليه ان يعرف الصفات الواجبة لله تعـالى ، وأن يعرف الصـفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام ، وأن يعرف ما جاء فى الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما . ومن لم يعرف ذلك (١) فليس بمسلم ويخلد فى نار جهنم .

(والمعرفة) هى الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل (والواجب) الأمر الثابت الذى لا يقبل الإنتفاء ككون الجسم متحركا أو ساكنا وكونه صغيرا أو كبيرا وكونه ناعما أو خشنا . ونحوه مما لابد للجسم منه (والمستحيل) الأمر المنفى الذى لا يقبل الثبوت ككون الجسم متحركا ساكنا أو طويلا قصيرا ، أو حيوانا جمادا فى آن واحد (والجائز) ما يقبل الثبوت والإنتفاء ككون الجسم صغيرا فى وقت كبيرا

---

(١) كما جاء فى الجزء الاول من « الدين الخالص » .

فى وقت آخر ، وكونه قصيرا فى وقت طويلا فى آخر ، وكونه حيا فى وقت ميتا فى آخر .

** وإذا كان لنا بعد هذا أن ندور حول :

الواجب فى حق الله تبارك وتعالى

فإنه يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية وهى ثلاثة عشرة :

إليك بيانها ، كما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص — بتصرف وإضافات (١) :

١ — الوجود : فهو تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسموات وسائر العالم (والدليل) على ذلك خلقه تعالى السموات وما فيها من الكواكب والملائكة والأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات لأن الصنعة لابد لها من صانع موجود . وقد قال الله عز وجل: **« ذلكم الله ربكم خالق كل شىء »** (٢) ، ومن البديهى أن موجد الشىء لا يكون معدوما ، لأن المعدوم لا يعطى الوجود .

---

(١) من المراجع التوحيدية الصحيحة .

(٢) غافر : ٦٢ .

** ومن أجمل البراهين التى قرأتها لبعض الفلاسفة والتى نستطيع بها الإستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى (١) :

* ما قاله الفيلسوف الفرنسى ديكارت (١٥٥٦ — ١٦٥٠) :

(إن فكرة الألوهية موجودة فى أذهاننا ، ووجودها الذهنى دليل على وجود حقيقة خارجية هى مصدرها) .
وقال : (إن هذه النفوس التى تدرك ذاته تعالى موجودة يقينا ، ولا يصح أن يكون وجودها صادرا عنها ، لأنى — وأنا الذى يتصور الكمال فى أجلى مظاهره — لو أوجدت نفسى لمنحتها أعظم قسط منه مع أنها فى الواقع ناقصة) .

* وقال مالبيرانش الفرنسى (١٦٣٨ — ١٧١٥) :

(الله هو الموجود والحق والفاعل الوحيد ، وليس وجوده جل شأنه فى حاجة إلى إثبات ، لأن فكرة الألوهية الماثلة فى أذهاننا جميعا ، والتى تدركها مباشرة ، وبدون واسطة تستلزم الوجود ، ولا يمكن أن يكون العدم موضوعا لتفكيرنا بحال) .

---

(١) كما جاء فى كتاب (البحوث الدينية التوحيدية) طبعة دار المعارف بمصر .

* وقال يبنتز الألمانى (١٦٤٦ — ١٧١٦) :

« هناك فرق بين الممكن والواقعى والضرورى ، فالأول ما احتمل الوجود والعدم ، والثانى ما وجد بعد عدم ، والثالث هو الموجود أزلا الذى يستحيل ضده ، والذى ستغنى عن البواعث والعلل ، ومبدأ السبب الكافى يقضى بأن الممكن لا يصبح واقعيا إلا بواسطة علة أخرى ضرورية تمنحه الوجود ، فوجود العالم دليل البارىء جل شأنه ، الذى صيره واقعيا بعد أن كان محتملا للوجود والعدم » .

* وفى نقاش الماديين يقول الأستاذ العقاد رحمه الله :

«وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين إلا وهو يوقع العقل فى تناقض لا ينتهى إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا يقوم عليه دليل ، فالقول بالتطور فى عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول ، لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شىء جديد فى العالم القديم ، وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان فضلا عن الفكر والخيال ، والقول بأن المادة تخلق العقل ، كالقول بأن الحجر يخلق البيت ، وأن البيت يخلق الساكن فيه ، وأيسر من ذلك عقلا ، بل ألزم من ذلك عقلا أن يقال : إن العقل والمادة موجودان

وأن أحراهما بأن يسبق الآخر ، ويخلقه هو العقل ، لأن المادة لا توجد ما هو افضل منها ، وفاقد الشيء لا يعطيه) .

وبهذا ندرك الفرق بين وجـود الله ووجود العبـاد ، فوجود الله واجب للذات ، لا يقبل الإنتفاء ، فلا بداية له ولا نهاية ، أما وجود العباد فجائز يقبل الثبوت والإنتفاء وله بداية ونهاية ، فهم يوجدون بعد العدم ، وينتهى وجودهم متى أراد الله .

ولهذا ، فقد جاء فى بداية البحث المفيد ، تحت عنوان :

ما يجب فى حق الله وما يستحيل عليه

أن الصفات التى يجب ثبوتها لله تعالى أنواع ثلاثة :

١ — صفة نفسية : لا تتحقق الذات إلا بهـا ، وهى صفة الوجود .

٢ — صـفات سـلبية : وهى التى تنفى عن ذات الله ما لا يليق بها ، وهى خمس : القدم ، والبقاء ، والمخالفـة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .

٣ — صفات المعانى : وهى الصفات الوجودية التى تثبت للذات العلية ما يليق بها من كمال ، وهى كثيرة ، لأن كمالات الله تعالى لا تتناهى ولا تحد ، وأهم ما يجب أن تقف على أدلته منها سبع وهى :

العلم ، والحياة ، والإرادة ، والقـدرة ، والسـمع ، والبصر ، والكلام •

ثم يقول : وأضداد هذه الصـفات كلها من : عـدم ، وحدوث ، وفناء ، ومشابهة للحوادث ••• الخ مستحيلة عليه تعالى •

ثم يقول بعد ذلك حول صفة الوجود كلاما منطقيا ينبغى أن يلاحظه كل مؤمن ومؤمنة حتى يكونا دائما مع هذا الإله العظيم الموجود ، فيقول ما خلاصته :

أن الإنسان يشعر فى أعماق نفسه بوجود إله لهـذا الكون ، خالق قادر يصرفه كما يريد ، ويحكم فيه كما يشاء ، وهذا أمر تهديه إليه فطرته ، وينطق به طبعه ، من غير حاجة إلى تعليم وإرشاد ، وأنه من أجل ذلك اندفع منـذ وجـد يتلمس لنفسه إلها ، وراعته الظواهر الطبيعية ، فعبد منهـا ما رآه خليقا بمقام الألوهية ، فعبـد الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والرياح وغيرها ، وظن حينا أن للبحر إلهـا ، وللشعر والجمال والحب آلهـة وهكذا • واتجـه كثير من الفلاسفة فى أقدم العصور إلى البحث عن مصدر الكون ، ومنشىء الوجود ، واختلفوا فى ذلك ما شاء لهم الاختلاف • هذا كله دليل على أن الإنسان مدفوع بطبعه إلى التدين ،

وفى فطرته الإعتراف بوجود الله ، وإن اضطرب رأيه فيه٠ نعم قد تطغى على المرء عوامل الهوى والعناد والغواية فيخفى هذا الإحساس فى نفسه ، ولكنه لا يلبث أن يعاوده إذا تكشفت عنه تلك الحجب ، ورجع إلى فطرته وطبيعته ، وآية ذلك أنه إذا انتابه نائبة أو نزلت به شدة التجأ إلى الله وحده، وتضرع إليه مذعنا له ، مقرا بوجوده إقرارا لا ظل فيه لتردد ، ولا أثر فيه لريبة ، قال تعالى : « **وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه** » (١) • وقال : « **وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه** » (٢) •

وهذا الإحساس الفطرى دليل قوى على وجود الله •

وأن الكون موجود ، وأن كل ما تشاهده فيه من الكائنات يعتريه التغير ، ويتولد بعضها من بعض ، وذلك كله من قبيل الممكن الذى وجد بعد أن لم يكن ، ولابد له من موجد ، إذ يستحيل عقلا أن يوجد بغير سبب ، أو أن يوجد نفسه ، لأن كون الشىء سببا لنفسه باطل ، لاستلزامه تقدم الشىء باعتباره سببا على نفسه باعتباره مسببا ، فلابد أن يكون لهذه الممكنات جميعها موجد • وما وراء الممكن مستحيل ، وواجب

---

(١) الروم : ٣٣ •
(٢) الاسراء : ٦٧ •

والمستحيل لا يوجد غيره ، لأنه معدوم وفاقد الشيء لا يعطيه فيبقى الواجب ، ويلزم أن يكون لهذه الكائنات موجد واجب الوجود لذاته لا لعارض أوجده ، وذلك هو الله سبحانه وتعالى . وذلك دليل يدركه من له أدنى حظ من التفكير ، وقد ساقه عربى فى كلمة له فقال : (بعرة تدل على بعير ، وأقدام تدل على مسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج أفلا يدل ذلك على الحكيم الخبير ؟!) .

وأن هذا الكون وما نرى فيه من مظاهر الإبداع والإتقان يشهد بوجود إله يخلق بقدر ، ويبدع بعلم وحكمة فالأجرام السماوية فى كثرتها وعظمتها وحركتها الدائمة ، وتباعد ما بينها تسير على نظام وثيق لا يختل ، واطراد لا يتخلف ، والأرض تدور حول نفسها ، وتتحرك حول الشمس ، ويتحرك حولها القمر ، فينشأ الليل والنهار ، وتتنوع الفصول ، وتختلف الأجواء ، وتتوزع الأمطار والمياه وكل شيء مهيأ لما أعد له : الأرض لسكنى الناس والحيوانات البرية ، والماء للحيوانات المائية ، والهواء للطير ، وهكذا .

وإنك لو نظرت فى عالم الحيوان مبتدئا بالحيوانات الدنيا ومنتهيا بأرقاها لوجدت لنشأتها ونموها ، وتكاثرها ، نظما رائعة دقيقة ووجدت كل جزء فيها قد خلق بقدر ،

وزود بما يكفل له أداء رسالته على أتم الوجوه ، قال تعالى : **« إنا كل شيء خلقناه بقدر »** (١) ، وقال : **(الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى)** (٢) .

وعلى هذا النحو من الدقة والكمال تجد النظام في المملكة النباتية ففي اتساعها ، وتعدد أنواعها ، واختلاف أشكالها ، وألوانها وطعومها وروائحها ، وخواصها ، ومنافعها ، وتسلسلها من المراتب الفطرية الدنيئة إلى أعلى المراتب وأكملها — في ذلك كله ما يبعث على الدهشة ويثير الإعجاب .

وبين يديك علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والحيوان ، والنبات تكشف لك عما أودع في المادة من أسرار ، وما وزع على العناصر من خواص تمهد كلها لبناء هذا الكون والترقى به ، وإن ما كشف العلماء من ذلك ، وما انتفعوا به في ميادين البحث والإختراع لا يزال — على كثرته — قطرة من خضم هذا الكون الحافل بالأسرار والقوى .

كل هذا لا يمكن أن يكون مصدره المادة ذاتها ، لأن المادة جامدة عمياء ، ليس لها عقل ، تستطيع أن تميز به هذه الأوضاع الدقيقة ، أو تهتدى إلى ذلك النسق الكامل ، أو

---

(١) سورة القمر : ٤٩

(٢) سورة الأعلى : ٢ ، ٣ .

تحتفظ بهذه النواميس المحكمة على مر الدهور ، دون خلل أو اضطراب • ثم إنها مســـخرة تؤدى وظائف لا يمكن أن تتخلى عنها ، والإنسان وهو جزء منها فى أحسن صورة وأكمل طور ، وهو الذى يسخرها ، ويتحكم فيها لا يقدر أن يكسبها خاصة جديدة ، فهى عن خلق ذلك فى نفسها أعجز • ولا يعقل أن يكون هذا الإبداع كله قــد وجد اتفــاقا ، وعن طريق المصادفة ، لأن المصادفة لا يمكن أن تكون أساسا لنظـــام مستمر محكم ، لا يعتوره نقص ، ولا يشوبه اضطراب كهذا النظام ، وإذا فلابد أن تكون هناك قوة تسيطر على هــذا العالم وتمنحه الوجود ، والإحكام ، تلك القوة هى الله رب العالمين •

والقرآن الكريم كثيرا ما يتجه فى إثبات وجوده تعالى هذا الإتجاه ، فيوجه النظر إلى ما فى الكون من عجــائب وبدائع ، فيقول تبارك وتعالى :

« وفى الأرض آيات للموقنين • وفى أنفســكم أفلا تبصرون » (١) ، ويقول : **« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمــا ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض**

---

(١) الذاريات : ٢٠ ، ٢١ •

بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

إلى آخر تلك الآيات البينات التى ينبغى أن نقف عليها ونعيش بتدبر فى معانيها وما تحتوى عليه من أبعاد حتى نصل من خلالها إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، والإيمان بوجـــوده .

ونستطيع بعد هذا الخير الذى وقفنا عليه أن نتساءل مع هذا الرجل المؤمن الذى يقول (٢) .

من علم الإنســان ما لم يعــلم
وهدى المسافر فى الدجى بالأنجم ؟

وأعــد للطفــل الضعيف غــذاءه
لبنـــا خفيف الهضم حلو المطعم ؟

اللـــه عــلم عبــــده وأعــزه
وهدى الغريب وأطعم الطفل العمى

* * *

من أيقظ الأطيــار إبان الســـحر
تشـــدوا وتسعى للغــذاء بلا حذر

---

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) وهو الأستاذ أحمد عبد الهادى ، كما جاء فى مجلة الوعى الاسلامى العدد ٢٠٤ سنة ١٩٨٦ م تحت عنوان « هو الله الذى لا اله الا هو » صفحة ٨١ .

وتعود للأعشــاش مالئــة الحشــا
لترق أفراخا صـــغارا تنتظر ؟
اللـــه أيقظهــا وأطلق شــدوها
وأطارها للعيش من فوق الشـــجر

***

من أخرج الشجر العظيم من النواة
وأقله الثمر الجميـل كما تراه ؟
وأعــده للنــاس حلــوا طيبــا
شتى المذاق وقد سقى نفس المياه ؟
اللـــه أخرجــه وحمــله الجنى
وسقاه ماء واحدا يجرى الحيــاه

***

من ذا الذى رفع الســماء بلا عمد
ومن الذي يعطيك إن ترج المــدد ؟
ومن الذى يــدرى بســرك إن خفــا
ويقيك سيىء ما بصـــدرك من كمد ؟
اللـــه رافعهــا الســماء ، وعــالم
بالسر ، وهو البارىء الفرد الصمد

***

من ذا الذىناداه من قلب البحــار
قوم على الفلك الذى لقى الدمار ؟

ريح وأمواج ترامت فــوقهم

فأتى بهم للبر ثم إلى الديار ؟

اللــه نجــاهم وأذهب روعهم

ووقاهم اللــــه الهلاك والإندثار

* * *

من ذا الذى نظم الكواكب فى الفلك

وترى النهار إذا مضى يأتى الحلك ؟

بأدق ما كان النظــــام ودونمــا

خلل ، ولا تلقى الكواكب تشتبك ؟

اللــه ناظمهــا بغير مســـاند

وهو المليك أجل ، ومالك من ملك

* * *

من خرج الإنســـان من ماء مهين

ونشاه أطورا على مر السنين ؟

وأجاد صــورته وأبدع خلقــه

وهداه بالتفكير للحق المبين ؟

اللــه أبدعه وأكمــل خلقــه

وحباه عقلا يستضىء به اليقين

* * *

نعم ، إنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

٢ — القـدم : ومعناه أنه لا ابتداء لوجوده تعالى ، لقوله تعالى : ((**الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل**))(١) إذ معناه أن كل شىء غير الله مخلوق لله ، فلا يجوز أن يكون غيره خالقا له ، لأنه لو كان مخلوقا لكان محتاجا لغيره كيف وهو ذو الغنى المطلق ، وفقر كل شىء إليه محقق ؟

وقد ثبت فيما مر بك أنه واجب الوجود ، والواجب لا يقبل الإنتفاء ، ووجوده ذاتى لا لعارض منحه إياه ، بل إنه أعطى الممكنات وجودها .

ثم إنه لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا ، لاحتاج إلى محدث ، ومحدثه إلى محدث وهكذا ، وذلـك يؤدى بك إلى فرض سلسلة من الآلهة تتصف بالحدوث ، والعجز ، والافتقار إلى إله قديم موجود لذاته ، يصـدر عنـه كل وجود سـواه ، وذلك هو (الله) قال تعـالى : ((**هو الأول والآخر ..**)) (٢) .

---

(١) الزمر : الآية ٦٢ .
(٢) الحـديد : ٣ .

٣ — البقــاء : ومعناه أنه لا انتهاء لوجوده سبحانه وتعالى ، وأنه لا يلحقه عــدم ، لقوله تبــارك وتعــالى : **« ويبقى وجه ربك ذو الجــلال والإكرام »** (١) ، وقــوله : **« كل شيء هالك إلا وجهه »** (٢) • ولأن من ثبت قدمه استحال عدمه • فهو الأزلى القديم بلا بداية والأبدى الباقى بلا نهاية: « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (٣) •

فهــو القــديم وحــده والبــاقى

فى القيــد نحن وهــو فى الإطلاق

أى أنه سبحانه وتعالى — كما جاء فى شرح هذا البيت — هو القديم لا غيره •• والقدم صفة سلبية وهو انتفاء العدم السابق على الوجود وهو من خواص الألوهية الحقة ودليله — كما عرفنا قبل — أنه تعالى لو لم يكن قديما لكان حادثا ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو محال ، وهو أيضــا الباقى وحــده سبحانه وتعالى ، والبقاء صفة سلبية أيضا وهو انتفاء العدم اللاحق للوجود ، والمراد البقاء بالذات المختص بالألوهية ودليله أن الله تعالى لو لم يكن باقيا لكان يفنى وينعدم ، وكل قابل للفناء والإنعدام

---

(١) الرحمن : ٢٧ •

(٢) القصص : ٨٨ •

(٣) الحــديد : ٣ •

حادث والله تعالى قديم وليس بحادث فهو باق • وأما البقاء بالغير كبقاء أهل الجنة والنار فليس هو من صفات الله تعالى لتنزه الله تعالى عنه لأنه افتقار إلى الغير وهو محال على الله تعالى •

٤ ـــ مخالفته تعالى للحوادث : ومعناها عدم مماثلته لشيء منها لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، لقوله تعالى : ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)) (١) • ولأنه لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها • والحدوث مستحيل فى حق الخالق عز وجل •

ومعناها كذلك ـــ بصورة أوضح ـــ أنه سبحانه وتعالى لا يماثل الممكنات فى شيء ما ، فليس جوهرا ، ولا جسما ، ولا عرضا ، ولا متحركا ، ولا ساكنا ، ولا يوصف تعالى بالكبر ولا بالصغر ، ولا بالفوقية ، ولا بالتحتية ، ولا بالحلول فى الأمكنة ، ولا بالإتحاد مع غيره ، ولا بالإتصال به ، ولا بالإنفصال عنه ولا بالزيادة ولا بالنقصان ، ولا بالتأثر بالمؤثرات النفسية التى تنتج اللذة والألم ، والفرح والحزن ، والغضب والرضا ، ولا بغير ذلك من أوصاف الحوادث •

---

(١) الشـــورى : ١١ •

ليس جوهرا ، لأن الجوهر — (وهو الذى يشغل حيزا من الفراغ ، ولا يقبل التجزئة) — حال فى محل ، وموجود فى حيز ، فهو فى حاجة إلى المكان والحيز وإلى من يخلقهما له ، وهو بذلك داخل فى دائرة الممكنات ، فلا يكون واجب الوجود .

وليس جسما ، لأن الجسم — (وهو المتحيز المركب من أجزاء) — يحتاج إلى وجود كل جزء من أجزائه قبل وجود جملته ، فلا يكون قديما لتقدم أجزائه فى الوجود عليه ، كما يحتاج إلى من يؤلف بين هذه الأجزاء ، ويركبها جسما . ثم إن المركب قابل للإنحلال إلى أجزائه ، ومعنى هذا أنه قابل للعدم ، وذلك ينافى ما ذكر من أن وجود الواجب إنما هو لذاته لا لشىء خارج عنه ، وأنه أزلى ، أبدى ، لا اول لوجوده ، ولا آخر لبقائه .

وليس عرضا ، لأن العرض — (وهو ما لا يستغنى بذاته ، وإنما يحتاج إلى شىء يقوم به ، كالأزمنة ، والأمكنة ، والجهات والأوصاف) — يتغير ويتبدل ويتناوبه الوجود والعدم تبعا لوجود ما يقوم به أو انعدامه ، فيكون حادثا ولا يكون واجب الوجود .

على أنه تعالى لو شابه الحوادث ، لكان مثلها ، ولجاز عليه ما يجوز عليها من الحدوث والتغير والفناء ، لأن ما يجوز على أحد المثلين يجوز على الآخر ، وإذا فأين مقام الألوهية ، وما يجب لها من الكمال ؟ وما الذى يميز الإله عن خلقه حينئذ ؟ ولم يختص بالألوهية ولا تكون الحوادث المماثلة له آلهة مثله ؟ .

إنه لابد أن يكون مخالفا لها ، وأن يكون ذا شأن آخر يتفق مع جلال الربوبية ، وعظمة الذات العليا . قال تعالى : **(ليس كمثله شىء)** (١) وقال : **(لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد)** (٢) .

وربما اعترضتك آيات فى القرآن فيها ما يوهم تشبيه الله بخلقه ، نحو : **(يخافون ربهم من فوقهم)** (٣) ، **(الرحمن على العرش استوى)** (٤) ، **(والسموات مطويات بيمينه)** (٥) ، **« إليه يصعد الكلم الطيب »** (٦) ، **« وجاء ربك .. »** (٧) .

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) سورة الاخلاص : ٣ ، ٤ .
(٣) النحل : ٥٠ .
(٤) سورة طه : ٥ .
(٥) الزمر : ٦٧ .
(٦) فاطر : ١٠ .
(٧) الفجر : ٢٢ .

** وهذه كلها يجب تأويلها بما يليق بمقـــام الله ، ويسيغه مفهوم اللغة ، فتحمل الفوقية فى الآية على معنى التمكن من الملك والسلطان . واليمين على معنى القدرة . وصعود الكلم إليه على معنى ارتضائه له ، ومجىء الله على مجىء أمره ، وهكذا .

وإنما دعا إلى هذه التعبيرات أن ألفاظ اللغة المحـــدودة لا تستطيع أن تصور لعقل الإنسان القاصر الحقائق الإلهية إلا فى صورة يألفها ، ويقوى على إدراكها .

ونحب قبل أن نفرغ من الكلام عن هذه الصفة أن نبين لك أن الإنسان قد يقف من ذات الله حائرا يتلمس أن يضع لها صورة ذهنية ، ولكن ذلك خطأ وضلال ، لأنه لا شىء من الصور الذهنية إلا وهو منتزع من المدركات الخارجيـــة أو مؤلف منها ، وإن باينها ، وأبعـــده الخيال عنها ، وهـــذه المدركات كلها حادثة فكيف تتألف منها صـــورة لله الواجب الوجود ، المتعالى عن الشبيه والنظير ؟ إن هذا غير ممكن ، ولهذا قيل : (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك) .

على أن للعقل حدودا إذا جاوزها عجز وضل ، وخبط فى غير فهم ولا إدراك . وهناك ظواهر كثيرة تقع تحت حس الإنسان ، وتتداخل فى مدركاته ، وهو مع ذلك يعجز عن

الوصول إلى كنهها ، فالنفس ، والروح ، والعقل ، والضوء ، والكهرباء ، والأثير ، قريبة منه كل القرب ، ولكنه لا يستطيع معرفة حقيقتها ، وهو لذالك يكتفي بالبحث في آثارها وأعراضها ، وما يمكن أن يفيده منها ، ويدع مضطرا محاولة اكتناهها ، وما ذاك إلا لأن إدراكه ينتهي عند غاية محدودة ، فالتفكير فيما وراء هذه الغاية إضاعة للوقت ، وصرف للقوى فيما خلقت غير مستعدة له . (وإذا كان هذا حال العقل الإنساني مع ما يساويه في الوجود أو ينحط عنه ، بل كذلك شأنه فيما يظن من الأفعال أنه صادر عنه كالفكر .. فما يكون من أمره بالنسبة إلى ذلك الوجود الأعلى ؟!) .

وماذا يعني المرء من رسم صورة للإله ؟ وما فائدة ذلك له ؟ عليه أن يفكر في آثار صنع الله ، ليهتدي إلى منافع خلقه ، ويشبع رغبته في البحث ، ويكون تفكيره مجديا ، أما التفكير في ذات الخالق فعبث ومدعاة إلى الزيغ والضلال ، وقال ﷺ : (تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا) .

** وأنا شخصيا مع هذا الرأي الذي يريح النفس ويجعل المؤمن بعيدا عن أسباب الزيغ والضلال ... وإن كنت أرى أن أوقف الأخ القارىء على الفتوى التي أجاب فيها

الشيخ سليم البشرى رحمه الله تعالى على كل تلك التساؤلات الهامة فقال [١] :

إلى حضرة الفاضل الشيخ أحمد على بدر ببلصفورة :
قد أرسلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ هـ مكتوبا مصحوبا بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى ، فحررنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف :

اعلم أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث مخالف لها فى جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القطعية فإن كونه فى جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان وهما من العالم — وهو ما سوى الله تعالى — وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله تعالى بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها ولأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان مع أن المكان يمكن وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن وكلاهما باطل ولأنه لو تحيز لكان جوهرا لاستحالة كونه عرضا ، ولو كان جوهرا فإما أن ينقسم وإما أن لا ينقسم وكلاهما باطل فإن غير المنقسم هو الجزء الذى لا يتجزأ وهو

(١) كما جاء فى هاشم الدين الخالص ج ١ ص ٢٣ .

أحقر الأشياء — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — والمنقسم جسم وهو مركب والتركيب ينافى الوجوب الذاتى فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأذلهم، اتبعوا أهواءهم وتمسكوا بما لا يجدى فاعتقدوا ثبوت الجهة .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واتفقوا على أنها جهة فوق إلا أنهم افترقوا (فمنهم) من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش ، وبه قال الكرامية واليهود وهؤلاء لا نزاع فى كفرهم (ومنهم) من اثبت الجهة مع التنزيه وأن كونه فيها ليس ككون الأجسام وهؤلاء ضلال فساق فى عقيدتهم وإطلاقهم على الله ما لم يأذن به الشارع . ولا مرية أن فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير سيما من كان داعية أو مقتدى به (وممن نسب) إليه القول بالجهة من المتأخرين أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحنبلى وقد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس فى فهم مراده واستشهد بعبارات أخرى صريحة فى دفع التهمة عنه وأنه لم يخرج عما عليه

الإجماع . وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه . وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية لا تصلح أدلة عقلية ولا نقلية قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة كقوله تعالى : « **الرحمن على العرش استوى** » (١) ، وقوله : « **إليه يصعد الكلم الطيب** » (٢) ، وقوله : « **تعرج الملائكة والروح إليه ..** » (٣) ، وقوله : « **ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ..** » (٤) ، وقوله : « **وهو القاهر فوق عباده** » (٥) . وكحديث : (إنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟) وقوله للجارية الخرساء : (أين الله . فأشارت فى السماء) حيث سأل بأين التى للمكان ولم ينكر عليها الإشارة إلى السماء بل قال : (إنها مؤمنة) (ومثل) هذه يجاب عنها بأنها ظواهر ظنية لا تعارض الأدلة القطعية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة . فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة

---

(١) سورة طه : ١ .
(٢) فاطر : ١٠ .
(٣) المعارج : ٤ .
(٤) سورة الملك : ١٦ .
(٥) الأنعام : ٦١ .

لا تأباها الدلائل والنصوص الشرعية **إما تأويلا إجماليا بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف ، وإما تأويلا تفصيليا بتعيين محاملها وما يراد منها كما هو مذهب الخلف كقولهم : إن الإستواء بمعنى الإستيلاء كما فى قول القائل :**

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

وصعود الكلم الطيب إليه قبوله إياه ورضاه به لأن الكلم عرض يستحيل صعوده • وقوله : من فى السماء ، أى : أمره وسلطانه أو ملك من ملائكته موكل بالعذاب • وعروج الملائكة والروح إليه صعودهم إلى مكان يتقرب إليه فيه ، وقوله : فوق عباده ، أى : بالقدرة والغلبة ، فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه أى عال عليه بالقهر والغلبة كما يقال أمر فلان فوق فلان ، أى أنه أقدر منه وإغلب ، ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل ، وخص الليل لأنه مظنة الخلوة والخضوع وحضور القلب ، وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن به اعتقاده من أينية المعبود كما يعتقده الوثنيون ، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها أرادت خالق السماء فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها ، وقد بسط

العلماء فى مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملا بالقطعى وحملا للظنى عليه ، فجزاهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء .

ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم ويتمشدق بترهات المبتدعين وضلالتهم ، أما سمع قول الله تعالى : « **ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » (١) ، فليتب إلى الله تعالى من تلطخ بشىء من هذه القاذورات ولا يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمره بالفحشاء والمنكر ، ولا يحملنه العناد على التمادى والإصرار عليه فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب والتمادى على الباطل يفضى إلى أشد العذاب « **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** »(٢) نسأل الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اهـ .

** وقد أورد إمام أهل السنة (الشيخ محمود خطاب السبكى) رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من الدين

---

(١) النساء : ١١٥ .

(٢) الكهف : ١٧ .

الخالص ، فى باب (المتشابه) أقوالا هامة تتعلق بهـذا الموضوع ، قال فيها بعد أن قال :

« وأما السلف والخلف فانهم مجمعون على ثبـوت صفات الله تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المحمدية. وإنما خلافهم فى : فى **تفويض معنى المتشابه : وهو مذهب السلف** . وفى **بيان معناه : وهو مذهب الخلف :**

* قال الإمام السلفى الجليل ابن كثير فى تفسـيره ما نصه : أما قوله تعـالى : « **ثم اسـتوى على العرش** » قلنا فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هنـا موضع بسطها ، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك ، والأوزاعى ، والثورى ، والليث بن سعد ، والشافعى ، وأحمد ابن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا . وهو إمرارها كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن الله تعالى ، فإن الله لا يشـبهه شىء من خلقـه و « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » ، بل الأمر كما قاله الأئمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخـارى قال : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله

تشبيه (فمن أثبت) لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى (ونفى) عنه تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى . أهـ

* وقال العلامة إسماعيل حقى فى تفسيره روح البيان : من قال إن الله فى السماء إن أراد به المكان كفر ، وإن أراد به الحكاية عما جاء فى ظاهر الأخبار لا يكفر ، لأنها مؤولة ، والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه .أهـ (ولذا) لم يتعرض السلف لتأويل المتشابهات لكون العقول إذ ذاك كانت سليمة لا تفهم من المتشابه إلا تنزيه الله عز وجل عن صفات الحوادث . (وتعرض) الخلف للتأويل لفساد عقول كثير من أهل زمانهم ففهموا من ظاهر المتشابهات أن الله سبحانه وتعالى جسم يحل فى العرش أو السماء أو الجهة .

* (قال) فى روح البيان : يقال لمن قال إن لله تعالى مكانا : أين كان قبل خلق هذه العوالم ؟ ألم يكن له وجود متحقق ؟ فإن قالوا : لا ، فقد كفروا ، وإن قالوا بالحلول والإنتقال ، فكذلك ، لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته ، لكن لا من حيث أنه حادث مطلقا بل من حيث إن وجوده مستفاض منه ، فافهم . أهـ .

* (وقال) أيضا : من يثبت له تعالى مكانا فهو من المجسمة . ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى فى كل مكان ، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف . أهـ .

* (والعلماء) الزائغون عن الحق هم الذين ذمهم الله تعالى بقوله : « **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله** ... » (١) ، وأى فتنة أفظع من كونهم كفروا بالله تعالى لاعتقادهم أن الله تعالى جالس على العرش ، أو له مكان ، أو حل فى جهة زعما منهم أن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على ذلك وكفر بسببهم كثير من جهلة العوام ضعفاء العقول كما شاع وذاع فى كثير من البقاع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » : استوى أمره أو استولى ، وعن أصحابنا ان الإستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الإستقرار والتمكن . أهـ .

---

(١) آل عمران : ٧ .

* وقال العلامة الخطيب : الله تعالى لا يتصف بالأماكن والجهات والحدود ، لأنها صفات الأجسام ، ولأنه تعالى خلق الأمكنة وهو غير متحيز ، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان • أهـ •

* وقال العارف الصاوى فى تفسير قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » (١) : المراد بالفوقية القهر لا الجهة لأنها مستحيلة عليه تعالى • أهـ •

* وقال الإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى : « ءأمنتم من فى السماء » (٢) : المراد بها توقيره وتنزيهه تعالى عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود ، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ، ولا زمان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان • أهـ •

* وقال أبو حيان فى تفسيره : معتقد أهل الحق ان الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة له ولا يشبه بشىء من خلقه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث • أهـ •

---

(١) النحل : ٥٠ •
(٢) الملك : ١٦ •

وقال فى تفسير قوله تعالى : « **وهو الله فى السموات وفى الأرض** »[1] : إنما ذهب أهل العلم إلى الخروج عن ظاهر (فى السموات وفى الأرض) لما قام عليه العقل من استحالة حلول الله تعالى فى الأماكن ومماسة الأجرام ومحاذاته لها وتحيزه فى جهة . أهـ .

* وقال الإمام النيسابورى فى تفسير قوله تعالى : « **ثم استوى على العرش** » : يقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة . أهـ .

* وقال عماد الدين الكندى فى تفسير قوله تعالى : « **وهو الله فى السموات وفى الأرض** » : حلول الله تعالى فى الأماكن مستحيل ، وكذلك مماسة الأجرام أو محاذاته لها ، أو تحيزه فى جهة ، لامتناع جواز التغير عليه تبارك وتعالى ، واستقرت القواعد على أن الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه الجهة ولا الظرفية أهـ . بتصرف . (وقال) فى تفسير قوله تعالى : « **وهو القاهر فوق عباده** » : الفوقية تمثيل للقهر لا للقاهر . وما أغبى الحشوية وأجمدهم حيث التزموا فوقية الجهة والجسمية فيمن يستحيل عليه ذلك . فما بالحشوية إلا مكايدة المعقول ومكابرة المنقول . أهـ .

---

(1) الأنعام : ٣ .

* وقال الحافظ بن حجر فى شرح صحيح البخارى فى تفسير الإستواء المشار إليه فى قول الله تعالى : «**الرحمن على العرش استوى**» : قالت المجسمة معناه الإستقرار وهو قول فاسد : لأن الإستقرار من صفات الأجسام ، ويلزم منه الحلول والتناهى وهو محال فى حق الله تعالى ولائق بالمخلوقات . أهـ .

* وقال العلامة النووى فى شرح صحيح مسلم " مذهب السلف فى أحاديث الصفات أنه يجب علينا أن نؤمن بهـا ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا الجازم أن الله ليس كمثله شىء وأنه منزه عن التجسم والإنتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوق . أهـ .

** والخلاصة التى أريد أن ننتهى إليها ونكتفى بها — حول هذا الموضوع — ما جـاء فى هامش (الفتـاوى الأمينية) ، حيث يقول ، حول (بيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات) :

وقد قال الله تعـالى فى سـورة تبـارك آية ١٦ : «**أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور**»، هذه الآية نظيرها قوله تعالى : «**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم**» الأنعام آية

٦٥ • وكذلك قوله سبحانه وتعالى « **فخسفنا به وبداره** القصص • صدر آية : ٨١ •

وهنا سؤال : هل الله سبحانه فى السماء ؟ : احتج المشبهة بهذه الآية على إثبات المكان لله ، وهى قوله تعالى : « **أأمنتم** من فى السماء ؟ » •

والجواب : أن هذه الآية لا يمكن إجراءها على ظاهرها باتفاق المسلمين ، لأن كونه سبحانه فى السماء يقتضى كون السماء محيطا به من جميع الجوانب فيكون سبحانه أصغر من السماء ، والسماء أصغر من العرش بكثير ، بل وأصغر من الكرسى ، الذى وسع السموات والأرض ، فيلزم أن يكون الله شيئا صغيرا بالنسبة إلى العرش وذلك محال ، ولأنه تعالى قال : « قل من رب السموات والأرض قل الله » الرعد صدر آية : ١٦ ، وقال تعالى : « **وهو الله فى السموات** وفى الأرض » الأنعام آية : ٣ • فهل يعقل أن تكون الذات الواحدة فى مكانين فى آن واحد ؟ •

إذن يجب صرف هذه الآية وأمثالها عن ظاهرها • قال فى فتح الرحمن : هذا من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه إلى الله •

وفى فتح البارى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بهـا الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب — سبحانه وتعالى — من غير تشبيه ولا تفسير • وأخرج البيهقى بسند صحيح عن سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه • وهذه طريقة الشافعى وأحمد ابن حنبـل •

وعلماء المالكية : اختلفوا ، فرأى بعضهم التأويل ، ورأى البعض الإنكفاف عن التأويل وتفويض معـانيها إلى الله • والأسلم اتباع السلف لأنهم لا يؤولون • والرســول ﷺ يقول : (آمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه) انظر ص ٢٠٣ جـ ٢ النهاية لابن الأثير ، ولم يقل : (أولوه) ، فهو فى السماء على المعنى الذى أراده سبحانه مع كمال التنزيه ، ويجوز أن تكون الظرفية تجوزا فى التعبير مع ما عليـه العرب من أنه فى السماء وهو متعال عن المكان ، ومثله حديث الجارية •

وأما رفع الأيدى إلى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة •

والخلف يقولون : « أأمنتم من فى السماء » عذابه ، كما أن السماء موضع نزول الرحمة ، والمراد من كونه فى

السموات وفى الأرض نفاذ أمره وقــدرته وجريان مشيئته فى السموات وفى الأرض • ويجوز أن يكون المراد من قوله : « من فى السماء » هو الملك الموكل بالعذاب ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بإذن الله ، أو المراد الملائكة الموكلون بتدبير هذا العالم بإذن الله ، فهو سبحانه ليس فى جهة من الجهات ، لأن ذلك من صفات الأجسام •

ومن الآيات المتشابهات أيضا قوله تعالى : « **الرحمن على العرش استوى** » ، قد تعلقت المشبهة أيضا بهذه الآية ، فى أن معبودهم جالس على العرش ، وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه :

(أولها) : أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه •

و (ثانيها) : أن الجالس على العرش لابد وأن يكون الجزء الحاصل منه فى يمين العرش غير الحاصل فى يسار العرش ، فيكون فى نفسه مؤلفا مركبا ، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال •

و (ثالثها) : أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الإنتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك ، فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون ، فيكون محدثا لا محالة ، وإن

كان الثانى كالمربوط ، بل كان كالزمن بل أسوأ حالا منه ، فإن الزمن إذا شاء الحركة فى رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم .

و (رابعها) : أن قوله تعـالى : « **ليس كمثله شىء** » يتناول نفى المساواة من جميع الوجوه ، فلو كان جالسا لوجد من يماثله فى الجلوس فحينئذ يبطل معنى الآية .

و (خامسها) : قوله تعالى : « **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** » آية ٧٠ الحاقة : فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم ، فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول ؛ لأن الخالق هو الذى يحفظ المخلوق ، أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .

و (سادسها) : إن العالم كرة فالجهة التى هى فوق بالنسبة إلينا هى تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصا بجهة فتلك الجهة وأن كانت فوقا لبعض الناس لكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين . وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقـال المعبود تحت جميع الأشياء .

و (سابعها) : أن الأمة أجمعت على أن قوله تعالى . « **قل هو الله أحد** » من المحكمات لا من المتشابهات ، فلو كان

مختصا بالمكان لكان الجانب الذى منه يلى ما على يمينه غير الجانب الذى منه يلى ما على يساره ، فيكون مركبا منقسما فلا يكون أحدا فى الحقيقة فيبطل قوله : ((**قل هو الله أحد**)) .

** وعلى هذا : فلا يصح أن نشتغل بالتأويل ، بل نقطع بأن الله منزه عن المكان والجهة ، ونترك تأويل الآيات . فالسلف فى آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه ، والخلف يؤولون خوفا من التشبيه ، فكلهم متفقون على التنزيه ، وإنما الفرق بينهما أن علمــاء الخلف يعنون المعنى المراد ، فيقولون مثلا فى قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » : المراد باليد القدرة ، والسلف يفوضون بعد التنزيه فيقولون : إننا ننزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئا خاصا من المعانى التنزيهية كما يفعل علمــاء الخلف ، اما اولئك المتفيهقون الذين يعينون ويشبهون ، فهم مجسمون مشبهون يبرأ منهم السلف والخلف جميعا .

وليت شعرى : أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر فيثبتون له تعالى (يدا) بمقتضى قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » الفتح : ١٠ . أم (يدين) بمقتضى قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » المائدة آية : ٦٤ . أم (أيديا) عديدة بمقتضى قوله تعالى : « أولم يروا انا خلقنا

أيهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون » يس آية : ٧١ •
أو يثبتون له (عينا) بمقتضى قوله تعالى : « ولتصنع على عينى » طه آية ٣٩ ، أم (أعينا) بمقتضى قوله تعالى : « تجرى بأعيننا » القمر آية : ١٤ • إلى غير ذلك وهو كثير •
أو يقولون : إن الله (فى السماء) بمقتضى قوله : « أأمنتم من فى السماء » أم (على العرش) بمقتضى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، أم (فى الآفاق) بمقتضى قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » الحديد آية : ٤ •
أو يثبتون له (أصابع) بمقتضى قوله ﷺ : (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله) رواه مسلم والترمذى عن أنس •
أو يثبتون له (يمينا) من نوع آخر لقوله ﷺ (الحجر (١) : يمين الله تعالى) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عكرمة موقوفا •

وليت شعرى أيضا : هل يثبتون له ما أخبر به فى قوله تعالى : **« كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه »** النور آية : ٢٩ فيقول بحلول الله مكان السراب فى الأرض ! وما أخبر به من أنه : **« أقرب إليه من حبل الوريد »** ، وقوله فى شأن

---

(١) اى الحجر الأسود •

المحتضر : ((**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**)) . الواقعة آية : ٨٥ . وقوله ﷺ : في الصحيح فى حق الجائع والمريض : (أما إنك لو أطعمته لوجدتنى عنده ، ولو عدته لوجدتنى عنده) رواه مسلم عن أبى هريرة ، وحديث لقاء الله لعبده على باب المسجد وتبشبشه له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا رجع إليهم) . أنظر ص ٨٠ ج ١ — النهاية لابن الأثير .

تم نسأل : عمن فى السماء ؟ أى سماء هى ؟ هل الأولى أم الثانية ... أم السابعة الخ والآية تقول : ((**الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن**)) الطلاق آية : ١٢ ، ثم نزوله كل ليلة حينما يحل الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا ، مع أن اختلاف المواقيت يجعل ثلث الليل الأخير يحل كل لحظة من بلد من البلاد ، فكيف نتصور معبودهم نازلا صاعدا مدة الأربع والعشرين ساعة كلها ، لأن ما هو ليل هنا قد يكون نهاراً هناك ؟.

وكيف نجمع عقلا بين الظرفية فى السماء ، والعلو على العرش ، ووجوده أمام المصلى : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ... الخ » ، ورحم الله الغزالى القائل : سبحان من استوى على العرش ، كما أخبر على الوجه الذى

أراد وبالمعنى الذى قال استواء منزها عن المماسة والإستقرار وعن التمكن والحلول والإنتقـال ، وليس العرش يحمـله ولا الكرسى يسنده ، بل العرش وحملته ، والكرسى وعظمته كل محمول بلطف قدرته ، ومقهور فى قبضته .

وماذا يضيرنا لو قلنا : إننا نؤمن بالله وبوجوده المتيقن المؤكد وبهيمنته على الخلق ولكننا لا ندرى أين هو

وهل لو سألنى سائل عن رئيس من الرؤساء ، أموجود هو ؟ فقلت نعم ، هو موجود يأمر وينهى ويصرف الأمور . فإذا سألنى وأين هو ؟ فقلت له : لا أدرى ، غير أنى اوقن أنه موجود — أيكون جوابى هذا حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه ؟ اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

وبعد هذا ، فأى لون يثبتون له ، وأى طول ، وأى عرض يصفونه به ؟ يقول الإمام الغزالى : (من أخـذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ، ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه) .

ولست أدرى : هل عرف هؤلاء حقيقـة الروح التى يحيون بها حتى يتعرضوا للكلام فيمن ليس كمثله شىء .. سبحانه .

قال إمام الحرمين : إن الله خلق العرش من درة وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة ، فكيف يكون مستقره ؟

* وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد : التوحيد أن نعلم أن قدرة الله فى الأشياء بلا مزاج ، وصنيعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شىء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، وكل ما تصور فى وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك .

* وقال يحيى الرازى رضى الله عنه وقد قيل له : أخبرنا عن الله تعالى ، فقال : إنه واحد . فقيل : كيف هو ؟ فقال : ملك قادر . فقيل : أين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل: لم أسألك عن هذا ؟ فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه .

* وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : من زعم أن الله سبحانه وتعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء ، فقد أشرك بالله ، إذ لو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان فى شىء لكان محصورا ، ولو كان من شىء لكان محدثا ، تعالى الله عن ذلك .

* وقال بعض العلماء لتلميذ له يمتحنه : لو قال لك أحد أين معبودك ؟ فأى شيء تقول ؟ قال : كنت أقول : حيث لم يزل . قال فإن قال لك : فأين كان فى الأزل فأى شيء تقول؟ قال : أقول : حيث هو الآن ولا مكان ، فهو الآن على ما عليه كان . قال التلميذ : فارتضى الشيخ ذلك .

** والخلاصة : أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها ، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ولا تقطع بتعيين تأويل منها ، بل تكل ذلك إلى العليم الخبير ، ولكن لابد من التنزيه على كل حال (١) .

** فلاحظ كل هذا ، آخا الإسلام ، حتى لا تضل أو تزل ، وحتى تكون أيضا فى نفس الوقت سليم العقيدة ..

وحسبك بعد كل هذا أن ننتفع بقول (جلال الدين السيوطى) رحمه الله تعالى :

قل لمن لم يفهم عنى ما أقول
قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه
ضربت والله أعناق الفحول

---

(١) راجع ص ٤ ، ٥ ، ٦ ج ٦ الفخر الرازى ، ومجلة نور الاسلام السنة الثانية ص ٢٨٢ .

أنت لا تعـرف إيـاك ولا

قـدر من أنت ولا كيف الوصـول

لا ولا تـدرى صـفات ركبت

فيـك حارت فى خفـاياها العقـول

أين منـك الروح فى جـوهرها

هـل تراها فتـرى كيف تجـول ؟

هـذه الأنفـاس هـل تحصـرها ؟

لا ولا تدرى متى منـك تزول

أين منـك العقـل والفهم إذا

غلب النـوم فقـل لى يا جهول

أنت أكـل الخبـز لا تعرفه

كيف يجرى منـك أم كيف تبـول

فـإذا كانت طـوياك التـى

بين جنبيـك كـذا فيهـا خلول

كيف تدرى من على العرش استـوى

لا تقـل كيف استوى كيف النزول

كيف تجـلى اللـه أم كيف يرى

فلعمـرى ليس ذا إلا فضـول

هـو لا كيف ولا أين له

وهـو رب الكيف والكيفة يحـول

وهو فوق الفوق لا فوق له
وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما
وتعالى قدره عما أقول

** ولتكن عقيدتك :

عقيدة أهل السنة

التي خلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله تعالى إله واحد ، منزه عن الشريك والمعين ، والصاحبة والولد .. موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه .. مستغن عن كل ما سواه ، ومفتقر إليه كل ما عداه .. قائم بنفسه .. ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء .. مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئى للمؤمنين بالقلوب في الدنيا وفي الآخرة بالأبصار .. استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذى أراد .. له الآخرة والأولى .. لا يؤوده حفظ المخلوقات .. وهو موجود بعلمه في جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد .. فإن ذلك من صفات الزمان الذى أبدعه .. فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان .. بل كان ولا مكان ولا زمان .. وهو الآن

على ما عليه كان •• السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه •• خلق اللوح والقلم وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه •• أوجد الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب ذلك عليه ، إلا أن علمه قد سبق •• فلذلك خلق من خلق •• لم تتعلق قدرته إلا بما أراد •• كما أنه لم يرد إلا ما علم ، وأحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا •• يعلم السر وأخفى « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (١) • علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها •• مريد لجميع الكائنات فى الأرضين والسموات •• فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا ظاهر ولا باطن ، إلا وهو مراد للحق جل وعلا •• ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره •• يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء •• أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين •• فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى •• وهؤلاء للنار ولا أبالى •• لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب إليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه إليه من الغير سؤال بلم أو كيف •• فهو سبحانه

---

(١) الملك : الآية ١٤ .

كما قال فى كتـابه المكنون : « **لا يسـئل كما يفعـل وهم يسئلون** » (١) .

فإن رأيت من لم يخضع لهذا الإعتقاد فاصرف النظر عنهم ، وقـل : « **فلله الحجة البالغـة فلو شـاء لهـداكم أجمعين** » (٢) يسمع دبيب النملة على الصـخرة الصماء ، ويبصر السواد فى الظلماء .. متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلى ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهـات ، كما أن سـمعه من غير أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حـدقة ولا أجفان ، وعلمه من غير نظر ولا برهان ، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان .

وبالجملة .. فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص .. إذ هو الكبير المتعال .. فلا يشـبه شيئا من الحوادث .. بل كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

وكذلك يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا ، مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسـول الله خاتم الأنبيـاء

---

(١) الأنبياء : الآية ١٣ .

(٢) الأنعام : الآية ١٤٩ .

والمرسلين .. بعث إلى كافة الخلق أجمعين .. وقد خاطبه الله تعالى بقوله : « **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونـذيرا ، وداعيـا إلى الله بإذنه وسراجا منيـرا** »(١) . فبلغ جميع ما أنزله الله إليه ، وأدى الأمانة ، ونصح الخليقة.. صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبى ﷺ حق .. ومن جملـة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سـؤال القبـر حق « **وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** »(٢) وأن العرض حق ، وأن الميزان حق ، وان الحوض حق ، وان الصراط حق ، وان تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير ، وأن شـفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ما جاء به الأنبياء عن الله حق .

فهذه عقيدة أهل ا لسنة والجماعة .. فاعمل بها ومت عليها . أه ..

وأما عن الصفة الخامسة من الصفات الواجبة فى حق الله تعالى ، وهى :

---

(١) الأحزاب : الآية ٤٥ .
(٢) الحج : الآية ٧ .

(٥) قيامه تعالى بنفسه : فمعناها أنه تعالى موجود، بلا موجد ، وغنى عن كل ما سواه ، لقوله تعالى : **« يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد »**(١) وقوله تعالى : **« والله الغنى وأنتم الفقراء »** (٢) ، ولأنه لو احتاج إلى شيء لكان حادثا وحدوثه محال .. فاحتياجه محال .

ومعناها أيضا : أنه (سبحانه) ليس مفتقرا إلى غيره ، فليس صفة فى حاجة إلى موصوف تقوم به ، ولا جسما فى حاجة إلى محل يشغله أو إلى أجزاء يتركب منها أو موجد يوجده ويخصصه ببعض ما يجوز عليه ، فهو الغنى المطلق عن كل ما سواه .

ليس صفة ، لأنه تعالى يتصف بالصفات الوجودية : كالعلم ، والقدرة ، والإرادة ونحوها ، والصفة لا تقوم بالصفة وإنما تقوم بالموصوف .

وليس جسما مفتقرا إلى المحل أو الموجد ، لأنه لو كان كذلك لكان حادثا ومماثلا للممكنات ، وواجب الوجود القديم، مخالف للحوادث ، كما مر بك .

وقد قال الله تعالى : **« إن الله لغنى عن العالمين »** .

---

(١) فاطر : ١٥ .   (٢) محمد : ٣٨ .

(٦٠) الوحدانيه ، فى الذات ، والصفات ، والأفعال .
ومعناها أن ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته، وأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها اختياريها واضطراريها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين.
قال الله تعالى : « **وإلهكم إله واحـد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** » (١) ، وقال : « **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** (٢)، وقال : « **والله خلقكم وما تعملون** » (٣) ، **وقال : (قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد)**
أى قل يا أيها النبى لمن سألك عن صفة ربك جل وعلا : هو المعبود بحق المتصف بكل صفات الكمال ، الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، المقصود فى قضـــاء حوائج الخلق على لدوام ، الذى ليس بوالد ولا مولود ولا شبيه له ولا نظير.

فليس هناك ذات تماثل ذاته العلية ، وليس ثم من يتصف بصفة من صفات الألوهية ، أو يأتى بفعل من أفعالها سواه تعالى .

وقد ذكر فى كتاب (البحوث الدينية) بعض الأدلة على إثبات الوحدانية لله تبارك وتعالى ، فقال : ومن أدلة إثبات الوحدانية له ما يأتى :

(١) البقرة : ١٦٣ . (٢) الأنبياء : ٢٢ .
(٣) الصافات : ٩٦ .

أولا : أن العالم موجود ، ووجوده يدل على وجـود الإله ، لأن كل أثر لابد له من مؤثر ، وهذا الإله إن كان واحدا فبها ، وإن كان معه إله آخر ، فإما أن يكون أحدهما كافيا أو غير كاف ، فإن كفى أحدهما كان وجود الآخر عبثا ، وإن لم يكف كان كلاهما عاجزا لا يصلح إلها .

ثانيا : أن تعدد واجب الوجود معناه أن هناك آلهـة لكل ذات معينة ، وصفات معينة ، وكل واحد بمقتضى وجوده وما يتبعه من الصفات ، له التصرف فى عامة الممكنـات ، ولا يعقل مع هذا أن تتفق تصرفاتهم اتفاقا تاما ، وتلتئم التئاما دقيقا لتحقيق هذا النظام الذى نراه فى الكون ، بل لابد أن تتضارب أفعالهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل وجوده، ولكنه كما نرى موجود محكم لا يعتريه اضطراب ، فلابد أن يكون الإله واحدا ، قال تعالى : ((**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**)) وقال : (**قل هو الله أحد**) .

ثالثا : لو تعددت الآلهة لحدث بينها ما يحدث بين الذوات المختلفة من ذوى السلطان فى الأرض من التنافس والنزاع، وتعالى بعضهم على بعض ، وتفرد كل بملكه واستقلاله فيه بما يشاء من تصرف . وتلك صورة مضحكة أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إله ، ويذهب كل إله بمخلوقاته كما تصور

الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ((**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**)) [١] .

وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال الأزهرى : الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، تقول ما جاءنى أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول : جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد ، فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ، والأحد منفرد بالمعنى . أهـ .

والمراد اتصافه تعالى بالوحدانية : (ذاتا) ، أى فى ذاته سبحانه وهو انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى ، بمعنى عدم قبولها الإنقسام والتبعيض والتجزىء وإلا لكان مركبا فى ذاته ، وكل مركب حادث كما مر .

(وفعلا) ، أى فى أفعاله تعالى وهو انفراده تعالى باختراع الكائنات عموما وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى فى شىء من الممكنات . (وصفة) ، أى فى صفاته سبحانه فلا تعدد لصفة من صفاته تعالى ، بل كل صفة من صفاته

---

(١) المؤمنون ؛ ٩١ .

واحدة ولا يتصف غيره بصفة تشبه صفة من صفاته تعالى .

** ولله در من قال فى منظومته (١) :

معرفة اللـــه عليــك تفترض

بأنه لا جـــوهر ولا عــرض

وليس يحـــويه مكـــان ولا ، ولا

تدركه العقــول جــل وعــلا

لا ذاتــه تشــبهه الــذوات (٢)

ولا حكت (٣) صفاته (٤) الصفات (٥)

وما له فى ملكـــــه وزيـــر

ولا له مثــــل ولا نظـــير

فرد له من تتــم المعـــرفة

وواحــد ذاتا وفعــلا وصــفه

وهـــو القـــديم وحـــده والبـــاقى

فى القيد نحن وهـــو فى الإطلاق

---

(١) الشيخ اسـماعيل بن عبــد الغنى النابلسى الحنفى . رحمه الله تعالى .

(٢) الحادثة كلها ما كان منها وما لم يكن .

(٣) اى ما ثلت وشابهت .

(٤) اسمائه الأزلية القديمة .

(٥) الأسـماء كلهـا .

حى عليم قادر مريدا
فى خلقه يفعل ما يريد

وهو السميع والبصير لم يزل
بغير ما جارحة من الأزل

له كلام ليس كالمعروف
جل عن الأصوات والحروف

وبقضاء الله والتقدير
جميع ما يجرى من الأمور

وكل ما يوجد من فعل البشر
فإنه بخلقه خير وشر

كلف عبده وما قد جارا
وهو الذى يجعله مختارا

أرسل رسله الكرام فينا
مبشرين بل ومنذرينا

(٧) الحياة ، وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الإتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، وما إلى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى (وحياته) ليست بروح . ودليلها قوله تعالى : **(الله لا إله إلا هو الحى**

القيوم) (١) ، وقوله « وعنت الوجوه للحى القيوم » (٢) ، وقوله : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » (٣) .

وهناك فرق بين حياة الله وحياة عباده ، فحياته كوجوده واجبة لا تقبل الإنتفاء ، أزلية لا أول لها ، وأبدية لا نهاية لها ، أما حياة العباد فهى ممكنة ، حادثة تبدأ وتنتهى بإرادة الله ، كما أن حياته جل شأنه منزهة عن الأعراض التى تتمثل بها حياة العباد ، من وجود الروح ، وسريانها فى الأعضاء ، وقيام كل عضو منها بوظيفة خاصة ، وما يستتبع ذلك من الحركة ، والنماء ، والحاجة إلى التغذية ، وعوامل الحياة ، ثم ما يعقبه من التدهور والموت ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والدليل العقلى على ثبوت صفة الحياة لله تعالى : أنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو الموت ، ولو اتصف بالموت لما صح اتصافه بالعلم والإرادة وباقى صفات المعانى والمعنوية إذ يستحيل أن يكون غير الحى عالما مريدا لكن ثبت اتصافه بتلك الصفات فوجب اتصافه بالحياة .

---

(١) آل عمران : الآية ٢ .

(٢) طه : الآية ١١١ .

(٣) الفرقان الآية ٥٨ .

والدليل النقلي : هو قوله تبارك وتعالى : « **وتوكل على الحى الذى لا يموت** » (١) .

(٨) العـلم : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا كان أو جائزا ، وبكل معدوم مستحيلا كان أو ممكنا . فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وانها قديمة لا تقبل العدم . ويعلم أنه لا شريك له وأن وجود الشريك محال . ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه . ويعلم فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحـدة فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه . ويعلم أفعالهم وكل ما يكون منهم . ويعلم أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية .. قال تعـالى : « **ألا يعلم من خلق وهـو اللطيف الخبير** » (١) ، وقال : « **إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما** » (٢) ، وقال : « **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** » (٤) ، وقال : « **هو الله الذى لا إله إلا هـو عالم الغيب والشهادة** » (٥) ، وقال : « **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصـدور** » (٦) ، وقـال : « **إن الله بكل شىء عليم** » (٧) .

---

(١) الفرقان : ٥٨ .
(٢) الملك الآية ١٤ .
(٣) طه الآية ٩٨ .
(٤) البقرة : الآية ٢٥٥ .
(٥) الحشر : الآية ٢٢ .
(٦) غافر : ١٩ .
(٧) الأنفال : الآية ٧٥ .

ومن الأدلة العقلية على هذا : أنه تعالى لو لم يكن عالما لكان جاهلا ، ولو كان جاهلا لكان حادثا ، وحدوثه محال لما سبق ، فالجهل عليه تعالى محال .

وعلم الله تعالى ، لا يماثل علم المخلوقات بوجه من الوجوه ، لأن علمه تعالى واجب لذاته ، وليس عارضا أو مكتسبا بأية آلة أو وسيلة ، وهو أزلي قديم باق لا ينفك عن الذات ،كما انه عام شامل لجميع الواجبات ، والمستحيلات والممكنات من كليات العالم وجزئياته ، فيعلم سبحانه الواجب وأنه واجب ، ويعلم المستحيل واستحالته ، كما يعلم الممكن سواء أكان موجودا أم معدوما ، سيوجد أم لا يوجد ، لا يعزب على علمه تعالى شيء في الأرض ولا في السماء .

أما علم العباد فعارض مكتسب ، وحادث يتجدد في كل زمان ، وهو — كوجودهم — له أجل ينتهي عنده ، ثم هو قاصر محدود ، فما أكثر ما يجهل العباد من حقائق الكون ومخلوقات الله ، قال تعالى :

« علم الإنسان ما لم يعلم » (١) ، وقال (ويخلق ما لا تعلمون) (٢) .

---

(١) العلق : ٤ .

(٢) النحل : ٨ .

(٩) الإرادة : وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق في زمن دون غيره ، وفي مكان دون آخر ، وهكذا ، لقوله تعالى : « **وربك يخلق ما يشاء ويختار** » (١) ، وقوله تعالى : « **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** » (٢) ، وقوله تعالى : « **فعال لما يريد** » (٣) ، وقوله تعالى : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** » (٤) ، وقوله تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** »(٥) .

وقد قرأت توضيحا لهذا في (البحوث الدينية) جاء فيه :

فالإنسان مثلا يقبل أن تتوارد عليه صفات متعددة : من طول أو قصر ، وبياض أو سواد ، وملاحة أو قبح ، وذكاء أو غباوة ، ونحو ذلك ، كما يقبل أن يكون مؤمنا أو كافرا ، وأن يكون برا تقيا ، أو جبارا عصيا .

وتخصيص الله له ببعض هذه الصفات دون بعض هو مفهوم الإرادة بالنسبة له ، وهكذا سائر الممكنات . فإن إرادته تعالى

---

(١) القصص : الآية ٦٨ .
(٢) الشورى : الآية ٤٩ .
(٣) البروج : الآية ١٦ .
(٤) الأنعام : الآية ١٢٥ .
(٥) البقرة : الآية ١٨٥ .

تتعلق بها تعلق تخصيص ، بمعنى أنها تخصص فى الأزل كل ممكن بصفات معينـــة يوجد عليهـــا ، وفى زمن خاص يوجد فيه •

أما الواجبات والمستحيلات فلا تتعلق بها الإرادة ، لأن الواجب موجود لا يقبل الإنتفاء ، والمستحيل معدوم لا يقبل الوجود ، فلا معنى للإرادة معهما •

وليس معنى الإرادة فى جانب الله تعالى ما يتبادر إلى الذهن من الرغبة فى تنفيذ شىء أو العدول عنه ، لأن هذه الحالة تعد نقصا فى جانبه تعالى ، إذ هى تقتضى قصور العلم ، وعدم الإحاطة ، والتردد بين البواعث على الفعل أو الترك وهذا محال عليه جل شأنه •

إن إرادته واجبة ، قديمة ، باقية ، تامة ، ولا كذلك إرادة العباد فهى ممكنة كذواتهم ، حادثة ، فانية ، قاصرة تقف عند حد خاص ، ولا تتناول إلا بعض الممكنات •

ومما يدل على ثبوت الإرادة له ــ سبحانه ــ أنه لو لم يكن مريدا لحدث فى ملكه ما لا يقصده أو ما أكره عليه ، وذلك عجز لا يليق بكماله تعالى ••• ثم يقول :

وقد ثبت لك أنه واجب الوجود ، وأن كل شىء من الممكنات مخلوق له ، وأنه يوجد على قدر مخصوص ، وصفات

معينة ، وفى زمان ومكان محدودين ، وهذه إما أن تكون على وفق علمه تعالى أو لا ، فإن كانت موافقة له فتلك هى الإرادة التى يعنيها علماء الكلام ٠

وإن كانت غير موافقة له ، كان هذا العلم ناقصا ، وقد ثبت كماله فيما تقدم ، قال تعالى : « **وربك يخلق ما يشاء ويختـــار** » (١) ، وقال : « **فعـــال لما يريد** » (٢) ، وقال : « **إنا كل شىء خلقناه بقدر** » (٣) ٠

وهنا نعرض لشبهة كثيرا ما تتردد على الأذهان ، مثيرة للحيرة والإضطراب ، وهى : مادام كل شىء يحدث على وفق علم الله ، وعلى حسب ما أراده ، فكيف يحاسب الإنسان على أفعاله ، وهو لا يستطيع أن يأتى بشىء لم يعلمه الله ، ولم يرده ، أو يتخلى عن شىء علمه وأراده ؟

وتلك هى مشكلة **القضـــاء والقدر** ، والجبر والإختيار التى شغلت أذهان الباحثين من علماء الكلام ، واختلفوا فيها اختلافا كثيرا ٠

---

(١) القصص : ٦٨ ٠

(٢) البروج : ١٦ ٠

(٣) القمر : ٤٩ ٠

** ولهذا ، فإننى أرى — وقبل أن أعود مرة اخرى إلى استكمال هذا الموضوع : أن نقف هنا على ما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » تحت عنوان :

الإرادة والأمر

مذهب أهل السنة فى إرادة الله تعالى :

ذهب أهل السنة إلى القول بأن الله تعالى يريد الخير والشر ، وأن كل ما تحقق فى الكون من خير أو شر فهو مراد له تعالى سواء أمر به أو لا ، وأن كل ما لم يتحقق فى الكون فهو غير مراد له تعالى سواء أمر به أو لا .. فالأقسام أربعة:

١ — مأمور به ومراد .   ٢ — وعكسه (١) .

٣ — ومأمور غير مراد   ٤ — وعسه (٢) .

واستدلوا على مذهبهم هذا بأدلة كثيرة منها :

١ — إجماع الأمة من عهد النبوة على القول بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد ورد هذا اللفظ مرفوعا إلى النبى ﷺ فيكون سندا للإجماع .

---

(١) اى مراد غير مأمور به .

(٢) اى غير مراد ومأمور به .

٢ — الآيات القرآنية ومنها ، قوله تعالى :
« من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »

** وأما مذهب أهل السنة فى الإرادة والأمر :

فقد ذهب أهل السنة إلى أن الإرادة غير الأمر وأنه لا تلازم بينهما ، أما أن الإرادة غير الأمر فلأن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، والأمر يرجع للكلام النفسى كالنهى . وأما أنه لا تلازم بينهما فلأنهما قد يجتمعان فى شىء كإيمان أبى بكر وقد ينفردان كما فى إيمان أبى جهل فإنه مأمور به غير مراد ، ومما يدل على تغاير الإرادة والأمر وعدم تلازمهما ، قوله ﷺ ، (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) لأن معنى (ما شاء الله كان) ما أراده الله وقع ، فيؤخذ منه صراحه أن الإيمان من الكفار غير مراد لله — مع أنه أمر به — لأنه تعالى لو أراده لوقع . ومعنى (وما لم يشأ لم يكن) : وما لم يرده لا يقع فيؤخذ منه صراحة أن المعاصى مرادة لله — مع أنه تعالى لم يأمر بها بل نهى عنها : **« إن الله لا يأمر بالفحشاء »** (١) — لأنه تعالى لو لم يردها لما وقعت .. ويتفرع على مذهب أهل السنة

(١) الأعراف : ٢٨ .

١ — أن الله قد يأمر بشيء ويريده كإيمان المؤمنين .
٢ — وقد لا يأمر بشيء ولا يريده كالكفر من المؤمنين .
٣ — وقد يأمر بشيء ولا يريده كالإيمان من الكافرين .
٤ — وقد لا يأمر بشيء ويريده ككفر الكافرين .

فاعلم أن أهل السنة بنوا مذهبهم فى إرادة الله على مذهبهم فى الإرادة والأمر .

** وأما مذهب المعتزلة فى إرادة الله تعالى :

فقد ذهب المعتزلة إلى القول بأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر ، وبنوا مذهبهم هذا على مذهبهم فى الإرادة والأمر :

فقد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الإرادة عين الأمر ، فأمر الله بشيء عين إرادته لذلك الشيء .. وذهب آخرون منهم ، إلى أن الإرادة تغاير الأمر إلا أن بينهما تلازما فى التعلق ، فما أمر به تعالى أراده ، وما لم يأمر به لم يرده .. وبنى الفريقان على هذا المذهب أن الله تعالى لا يريد المعاصى كما ذكرنا آنفا ، ويلزم على هذا المذهب أمران :

١ — أن يقع فى ملكه تعالى ما لا يريده ، لأنهم قالوا أنه تعالى لم يرد المعاصى لأنه لم يأمر بها ، مع أن المعاصى قد وقعت بالفعل .

٢ — أن يتخلف مراد الله تعالى ، لأنهم قالوا إنه تعالى أراد الإيمان من جميع الناس لأنه أمرهم به إلا أن منهم من آمن ومنهم من كفر •• فإيمان من كفر قد تخلف •• وهذان الأمران باطلان على مذهب أهل السنة •

وأدلتهم على هذا — وهو أن الله تعالى لا يريد المعاصى:

فقد استدل المعتزلة — هؤلاء — على أن الله لا يريد المعاصى بأدلة منها :

١ — أن المعاصى قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة ، كما أن خلق القبيح عندهم قبيح ، والله تعالى منزه عن القبائح فهو لا يريدها ولا يخلقها أيضا فعندهم أن أكثر ما يقع من افعال العباد ليس بإرادة الله ولا بخلقه وإيجاده ، وإنما هو بمراد العبد وإيجاده •

٢ — أنه تعالى لو أراد المعاصى الأمر بها لكنه لم يأمر بها « إن الله لا يأمر بالفحشاء » فلم يردها •

واعترض أهل السنة على الدليـل الأول ، بأن إرادة القبيح ليست قبيحة إنما القبيح اكتساب القبائح والإتصاف بها ، واعترضوا على الثانى ، بأنه مبنى على القول باتحاد الإرادة والأمر أو تلازمهما ، وقد بينا أنه لا اتحاد ولا تلازم بينهما •• فلا يلزم من عدم الأمر بالمعاصى عدم إرادتها ••

بل يريدها ولا يأمر بها .. وإلى هذا أشار صاحب (الخريدة) بقوله :

... ...

وكل شيء كائن أراده

وإن يكن بضده قد أمرا

فالقصد غير الأمر فاطرح المرا

فقد علمت أربعا أقساما

فى الكائنات فاحفظ المقاما

المعنى (كائن) أى موجود خيرا كان أو شرا (أراده) أى أراد الله وجوده ، فلا يقع فى ملكه إلا ما يريد . وهذه إشارة لمذهب أهل السنة فى الإرادة (وإن يكن بضده قد أمرا) أى بضد ذلك الكائن المراد ، أى وإن كان ذلك الكائن قد أمر الله تعالى بضده ككفر أبى جهل فإنه كائن ، وقد أمر الله بضده وهو الإيمان ونهى عن الكفر ومع ذلك هو مراد الله تعالى بدليل وقوعه (فالقصد غير الأمر) أى فالإرادة مغايرة للأمر ، بل ولا تستلزمه كما أن الأمر لا يستلزمها ، وهذا إشارة إلى مذهب أهل السنة فى الإرادة والأمر . (فاطرح المرا) أى فاترك الجدال والنزاع الباطل من المعتزلة الذاهبين إلى أنه تعالى يقع فى ملكه ما لا يريده — وقد بينا مذهبهم فيما سبق — (فقد علمت) من قولنا : وكل شيء كائن أراده

ــ وإن يكن بضده قد أمرا ــ منطوقا ((وهو إن شاء وقع وإن لم يأمر به) ومفهوما ، ((وهو إن لم يشأه لم يقع وإن أمر به)) . ((أربعا أقساما) أقســاما عطف بيــان الأربع ((فى الكائنات)) جمع كائنة أى فى الموجودات وهذا إشارة للأقسام الأربعــة المتفرعة من مذهب أهل الســنة ((فاحفظ) هــذا ((المقاما) فإنه قد زلت فيه أقدام المعتزلة .

** والخلاصة التى نريد أن نعود إليها هى كمــا جاء فى « البحوث الدينية » :

أنه سبحانه وتعالى عليم محيط بأحوال خلقه من الأزل إلى الأبد ، وأن كل ما يحدث في ملكه يقع على وفق علمه ، فهو يعلم حالة عبده ، وما يكون منه من كفر وإيمان ، ومعصية وطاعة ، وإساءة وإحسان ، ولابد أن يكون ما يصدر عن العبد موافقا لهذا العلم .

ولكن هذا الإنكشاف لا أثر له فى توجيه الإنسان وجهة خاصة ، ولا فى إكراهه على سلوك ناحية معينة ، لأن العلم ليس صفة مؤثرة .

والمرء لا يدرى ما قدر له ، ولتستبين ذلك نسوق لك هذا المثال :

إن الفلكى يستطيع بمقاييسه وقوانينه أن يخبر عن خسوف للقمر يحدد يومه وزمنه بالساعة والدقيقة ، ومدة مكثه ومقداره ، والأقاليم التى يشملها ، ثم يحدث هذا كله طبقا لما أخبر به تماما . فهل كان علمه مؤثرا فى حدوث هـذا الخسوف ؟

كلا إن العلم لا أثر له فى شىء من ذلك ، وإنما هو مجرد إحاطة وانكشافة .

وكذلك إرادة الله ليست إلزاما منه لعبده أن يأتى بأفعال خاصة ، وإنما هى تقدير هذه الأفعال حسب علمه تعالى بما سيكون من الشخص من رغبة فى الخير وإقبال عليه ، أو زهد فيه وإعراض عنه ، وبما يسوقه إليه اختياره من الطاعة أو المعصية .

فللمرء اختياره وقدرته على تصريف شئونه ، والإقدام على فعل الشىء أو تركه ، وعلم الله الواسع الشامل يكشف ما سيكون منه من خير أو شر .

وإرادته تعالى تبعا لهذا العلم تخصص ما سيقع من أفعاله ، وليس فى هذا كله شيء من الجبر أو الإكراه ، كما لا يخفى .

ولو رجع الإنسان إلى نفسه لرأى أنه يشعر باختياره إلى حد كبير ، وأنه يزن الأمور ويقدرها بعقله ، ثم يفعل ما يفعل ، ويدع ما يدع بإرادته ، وبسبب هذا الإختيار وتلك القدرة يعاقب الإنسان أو يثاب على عمله ، ولو كان مكرها على أفعاله ما كان خليقا بإثابة ، ولا مستحقا لعقاب ومن أجل هذا رفع الشرع عن الشخص تبعة الأعمال التى يأتيها من غير قصد واختيار . قال ﷺ :

(رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

**وإتماما للفائدة فى هذا الباب بالذات أرى أن أسجل هنا مسألتين من المسائل التى أوردها صاحب كتاب (معارج القبول) ، وهما :

* المسألة الأولى ، يقول فيها :

فإن قيل قد أخبرنا الله عز وجل فى كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفات أنه يحب المحسنين ، ويحب المتقين ، ويحب الصابرين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يحب الظالمين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .. مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك ، فإنه لا يكون فى ملكه ما لا يريد ، فما الجواب ؟ قلنا :

إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كونى وشرعى ، ولفظ المشيئة لم يرد إلا فى الكونى ، كقوله تعالى : « **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** » (١) .

ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى : « **وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له** » (٢) **وقوله تعالى** : « **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** » (٣) .

ومثال القضاء الكونى قوله تعالى : « **وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** » (٤) .

ومثال الأمر الكونى قوله تعالى : « **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » (٥) .

فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة ، وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها . ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا ، بل يدخل فيها الكفر والإيمان ، والسيئات والطاعات ، والمحبوب المرضى له ، والمكروه

---

(١) الانسان : ٣٠ .
(٢) الرعد : ١١ .
(٣) يس : ٨٢ .
(٤) البقرة : ١١٧ .
(٥) الاسراء : ١٦ .

المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه • ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة •

ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » (١) ، وقوله تعالى : « **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ..** » (٢) وقوله تعالى : « **والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما** » (٣) •

ومثال القضاء الشرعي ، قوله تعالى : « **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ..** » (٤) •

ومثال الأمر الشرعي ، قوله تعالى : « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » (٥) •

وهذه الإرادة والقضاء والأمر الشرعي هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه ، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه • ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله

---

(١) البقرة : ١٨٥ .
(٢) النساء : ٢٦ .
(٣) النساء : ٢٧ .
(٤) الاسراء : ٢٣ .
(٥) النحل : ٩٠ .

إلا فى حق المؤمن المطيع ، وأما الكافر فينفرد فى حقه الإرادة والقضاء ، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدى لذلك من يشاء فى الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى : « **والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** » (١) ، فعمم الدعوة إلى جنته التى هى دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب ، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى : « **يهدى الله لنوره من يشاء** » (٢) .

* وفى المسألة الثانية يقول :

فإن قيل : أليس بممكن فى قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين ؟ قلنا :

قدمنا لك أن هذا الذى فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ، فحينئذ قول القائل : لم كان من عباده الطائع والعاصى ؟ كقول من قال : لم كان من أسمائه الضار النافع ، والمعطى المانع ، والخافض الرافع ، والمنعم والمنتقم ونحو ذلك . إذ أفعاله تعالى هى مقتضى أسمائه وآثاره وصفاته .

---

(١) يونس : ٢٥ .
(٢) البقرة : ٢١٣ .

فالإعتراض عليه فى أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته ، فسبحان رب العرش عما يصفون ، « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » (١) .

* * وقد قرأت حول هذا المعنى الأخير أن شيطانا من شياطين الإنس جلس فى مجلس الإمام الشافعى رضى الله عنه ثم وجه إليه السؤال الآتى بغية إحداث فتنة أو خلخلة فى عقول ضعفاء الإيمان ، فقال : يا إمام المسلمين ، ما قولك فى من خلقنى كما اختار ، واستخدمنى فى ما اختار .. وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة ، وإن شاء أدخلنى النار .. أعدل فى ذلك أم جار ؟

فقال الإمام بنور من الله تبارك وتعالى : يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل .

* * ومن أجمل ما قرأت كذلك حول هذا الموضوع ما رواه النيسابورى فى تفسيره بإسناده :

* أن على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — سأله سائل عن القدر ، فقال : بحر عميق لا تخض فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال : سر خفى لا تفتشه ، فقال

---

(١) الأنبيـــاء : ٢٣ .

يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال على رضى الله عنه : يا سائل إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . فقال : إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال كما يشاء . فقال : يا سائل لك مشيئة مع الله ؟ أو فوق مشيئته ؟ أو دون مشيئته ؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته . ثم قال : ألست تسأل الله العافية ؟ قال : نعم . قال : فمن ماذا تسأله العافية ؟ أمن بلاء ابتلاك به ؟ أو من بلاء غيره إبتلاك ؟ قال : من بلاء ابتلانى به . فقال : ألست تقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ؟ قال : بلى قال : تعرف تفسيرها ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين علمنى مما علمك الله . فقال : تفسيرها أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا معصيته إلا بالله عز وجل . يا سائل إن الله يسقم ويداوى ، منه الداء ، ومنه الدواء ، اعقل عن الله عز وجل فقال السائل : عقلت . فقال له : الآن صرت مسلما . قوموا إلى أخيكم المسلم فخذوا بيده .

ثم قال على رضى الله عنه وأرضاه : لو وجدت رجلا من أهل القدر لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى اكسر عنقه فإنهم يهود هذه الأمة .

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى لا تكون — والعياذ بالله — قدريا ، وحتى لا تلعب شياطين الإنس والجن بك .

** وأما عن الصفة العاشرة من الصفات الواجبة في حق الله تعالى ، وهي :

(١٠) القدرة ، فهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ، لقوله تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١) ، وقوله تعالى : « وهو على كل شيء قدير » (٢) ، وقوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرا » (٣) .

ولأنه لو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، وعجزه محال ، كيف وهو خالق كل شيء .

ومن اليسير عليك بعد أن عرفت أنه سبحانه واجب الوجود ، وأن الممكنات قد صدرت عنه ، وكانت على حسب علمه ، وعلى وفق إرادته ، أن تسلم بأنه قادر ، لأن القدرة ليست شيئا أكثر من سلطاته على تنفيذ ما علم وأراد .

---

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) التغابن : ١ .

(٣) الكهف : ٤٥ .

على أن خلق هذا الكون الفسيح ، وإحكامه ، ونواميسه ، واطراد سيره ، وما به من مجالى الدقة والإبداع : لا يمكن أن يصدر إلا عن قدرة باهرة وسلطة لا تحد .

وكيف يكون الله عاجزا ، ومقام الألوهية يقتضى الإتصاف بكل كمال ، والتنزه عن كل نقص ، قال تعالى : ((إن الله على كل شىء قدير)) (١) .

* وقد أشار فى الدين الخالص جـ ١ إلى ملاحظة هامة بتعلق الإرادة والقدرة ، فقال :

إن الإرادة والقدرة يتعلقان بكل ممكن من أفعالنا الإختيارية وما لا سبب له كالإحراق عند مماسة النار . وما لا سبب له كخلق السماء .

وتعلق القدرة فرع تعلق الإرادة الذى هو فرع تعلق العلم إذ لا يوجد الله تعالى شيئا ولا يعدمه إلا إذا أراد وجوده أو إعدامه وقد سبق فى علمه أنه يكون أو لا يكون

(١١) السمع : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا أو ممكنا صوتا أو لونا أو ذاتا أو غيرها ، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

---

(١) البقرة : ٢٠ .

(١٢) البصر : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بالذات العلية تحيط بكل موجود — واجبا أو جائزا جسما أو لونا أو صوتا أو غيرها بلا حدقة — إحاطة غير إحاطة العلم والسمع والدليل على أنه تعالى سميع بصير قوله تعالى : « **فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير** » (١) ، وقوله تعالى : « **إن الله سميع بصير** » (٢) ، ولأنه تعالى لو لم يكن سميعا بصيرا لكان أصم أعمى وهو نقص . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(١٣) الكلام : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجبا أو جائزا ، وعلى كل معدوم محالا أو جائزا . وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل ، لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهى محالة عليه تعالى . ودليله قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » (٣) . ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم ، والبكم نقص محال فى حقه تعالى . والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وباقى الكتب المنزلة ، تدل على

---

(١) غافر : ٥٦ .
(٢) الحج : ٧٥ .
(٣) النساء : الآية ١٦٤ .

بعض ما يدل عليه الكلام القديم ، قال تعالى : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** (١) ، وقال : « **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** » (٢) .

** وحول هذه الصفات الثلاث — السمع ، والبصر ، والكلام — قرأت تعليقا هاما فى كتاب : « البحوث الدينية — التوحيد » أرى من الخير كذلك أن أضيفه حتى ننتفع به ، وهو:

أن هذه الصفات الثلاث لا يهتدى النظر وحده إليها ، بعد أن أثبت لواجب الوجود صفة العلم الذى يتحقق به الإنكشاف التام لجميع الكليات والجزئيات ، ولكن القرآن قد صرح بها فى كثير من مواطنه ، قال تعالى : « **إن الله سميع بصير** » وقال جل شأنه : (**وكلم الله موسى تكليما**) (٣) ، وقال تعالى « **يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى** » (٤) .

---

(١) الكهف : الآية ١٠٩ .
(٢) لقمان : الآية ٢٧ .
(٣) النساء : ١٦٤ .
(٤) الأعراف : ١٤٤ .

ومن أجل هذا سميت بالصفات السمعية ، لأن طريق إثباتها السمع .

وليس يصعب على العقل التسليم بها والبرهنة عليها ، فيجب الإعتقاد بها بشرط حملها على ما يناسب كماله تعالى ، ويليق بذاته العلية .

فالسمع صفة تنكشف له بها الأصوات ما ظهر منها وما خفى . والبصر صفة تنكشف له بها المرئيات دقيقها وجليلها . فهما يتعلقان بالموجود من المسموعات والمبصرات ، ولا يتعلقان بالمعدوم منها . ولكن سمعه تعالى وبصره يختلفان عن سمع العباد وبصرهم ، فسمعه جل شأنه بغير أذن ، أو آلة ، ولا تلقى موجات صوتية ، ولا غير ذلك من شرائط السمع المعهودة لنا . وبصره بغير عين ولا حدقة ، ولا اتصال أشعة ، ولا مقابلة مرئى ، ولا غيرها مما يلابس رؤيتنا المعتادة .

وسمعه وبصره فى نهاية الكمال ، فهو يسمع كل مسموع ، ويبصر كل مبصر بلا فرق بين بعيد وقريب ، وظاهر وخفى ، ودون أن يشغله شىء عن شىء ، كما أنهما ليسا من وسائط علمه ، فعلمه — جل وعلا — إحاطة تامة بلا سبب أو وسيلة وهما أيضا صفتان واجبتان لذاته العلية ، قديمتان بقدمه باقيتان ببقائه ، بخلاف سمع العباد وبصرهم فى كل ذلك .

والكلام صفة بتأتى أن يفهم بها — جل شأنه — من أراد من عباده ما شاء أن يفهمه له .

وكما يطلق لفظ العلم الذى يستعمله البشر لأنفسهم الإلهى المحيط بكل شىء ، كذلك يطلق لفظ الكلام على هذه الصفة الإلهية .

وهى تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات على السواء ، فيكشف بها الله تعالى لمن يشاء من خلقه كملائكته ورسله ما شاء من واجب ومستحيل وجائز . ولكن كلامه تعالى بلا لسان ، ولا شفة ، ولا أعضاء نطق ، ولا حروف ولا صوت ثم هو ذاتى ، قديم ، باق ، ولا كذلك كلام الحوادث . وقد لا يراد بكلام الله هذه الصفة النفسية ، بل يراد به ما نزل على رسله من الكتب السماوية ، وهو بهذا المعنى يعتبر حادثا مخلوقا له تعالى .

ومما يستدل به عقلا على إثبات هذه الصفة له أنه هو الذى يمنحها خلقه ، وليس من المعقول أن يمنحهم ما لا يملك . ثم إنها كمال فى الموجودات ، ولا يتصور أن يكون الإله أقل كمالا من مخلوقاته .

ولو لم يكن سبحانه متصفا بها لاتصف بأضدادها وذلك نقص ، والنقص عليه محال .

** وقد ختم (إمام أهل السنة الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى - فى الجزء الأول من الدين الخالص - الحديث عن الصفات الواجبة فى حق الله تعالى ، بقوله :

وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال ، والجمال ، والعزة ، والعظمة ، والكبرياء ، والقوة - وهى غير القدرة - والوجه ، والنفس ، والعين ، واليد ، والأصابع ، والقدم ، والمحبة ، والرضا ، والفرح ، والضحك ، والغضب ، والكراهية ، والعجب ، والمكر ، ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة ، فيجب الإيمان به بلا كيف فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى . ونفوض معرفة ذلك وتفصيله إلى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ، لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ، ولكن نقول يده صفة له بلا كيف .. وهكذا . وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير إرادة الإنتقام . بل من صفاته بلا كيف وهذا مذهب السلف فى المتشابهات . وبه نقول .. ثم يقول :

هذا ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلا من الواجب فى حقه تعالى .

(وأما الواجب) معرفته إجمالا فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها

يعلمها الله تعالى تفصيلا ، ويعلم أنها لا نهاية لها ، لأنه لو انتفى عنه تعالى شيء من الكمال الذى يليق به لكان ناقصا . والنقص محال فى حقه لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى.

** وأما عن :

المستحيل فى حق الله تعالى

فيقول ما نصه :

يستحيل فى حقه تعالى بالأدلة التفصيلية السابقة ثلاث عشرة صفة مقابلة للصفات الواجبة له تعالى على الترتيب السابق . وهى : العدم ، والحدوث — وهو الوجود بعد عدم — والفناء ، ومماثلته تعالى للحوادث — (فى الذات) بأن يكون جسما مركبا ، أو حالا فى مكان ، أو مخصوصا بزمان ، أو موصوفا بالكبر أو بالصغر ، أو يكون له شبيه (وفى الصفات) بأن تكون حياته كحياة الحوادث ، وعلمه كعلمهم وهكذا (وفى الأفعال) بأن لا يكون مؤثرا فى شيء ، وإنما له مجرد الكسب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فهو لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ولا يحده مقدار ، ولا تحويه أقطار ، لقوله تعالى (ليس كمثله شيء) .

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى احتياجه لموجد أو ذات يقوم بها . والتعدد فى (الذات) بأن يكون مركبا يقبل الإنقسام

أو يكون هناك ذات كذاته (وفى الصفات) بأن يكون له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، أو يكون لغيره صفة كصفته .

(وفى الأفعال) بأن يكون لغيره تأثير فى شىء من الأشياء بطبعه أو بقوة مودعة فيه . فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة خلقت فيها ، وإنما الخالق للإحراق هو الله تعالى عند خلقه النار . ولو شاء خلق النار دون الإحراق لكان . كما حصل لخليله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وليس الماء مرويا بطبعه ولا بقوة خلقت فيه وإنما الخالق للرى الله تعالى عند شرب الماء . وليس الملبوس ساترا وواقيا البرد أو الحر بنفسه ولا بقوة خلقت فيه . بل الخالق لما ذكر هو الله تعالى عند لبس الثياب . فمن يعتقد تأثير شىء من الأسباب فى مسببه بطبعه فهو كافر أو بقوة خلقها الله فيه فهو فاسق . ومن اعتقد عدم تأثيرها ، وأن الله هو المؤثر ولكن يستحيل خلق السبب بدون مسببه أو عكسه فهو مؤمن يخشى عليه إنكار معجزات الأنبياء فيكفر ، أو إنكار كرامات الأولياء فيفسق.

والإعتقاد الصحيح : اعتقاد أن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى مع إمكان تخلف أحدهما عن الآخر خرقا للعادة .

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم ، والإغماء ، قال تعالى : ((الله لا إله إلا هو الحى

القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » . (ومنه) الجهل وما فى معناه كالظن ، والشك ، والوهم ، والغفـلة ، والذهول ، والنسيان . (ومنه) وجود شىء من الحوادث بلا إرادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة . فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر إلا بقضائه وقـدره .

(ومنه) العجز عن ممكن ما ، والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات (ومنه) العمى وما فى معناه كالعشا - بفتحتين مقصوراً - : وهو عدم الإبصار ليلا - والجهر - بفتحتين : وهو عدم الإبصار نهارا . (ومنه) البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالفهامة والعى والسكوت وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات .

هذا ما دلت عليه استحالته فى حق الله الأدلة التفصيلية، وهى أدلة الواجب التفصيلى ، ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن كل نقص كما أنه متصف بكل كمـال .

** وقد قال صاحب (الخريدة) مشيرا إلى المستحيل فى حقه تعالى ودليل الاستحالة بقوله :

ويستحيل ضد ما تقدما
من الصفات الشامخات فاعلما
لأنه لو لم يكن موصوفا
بها لكان بالسوى معروفا
وكل من قام به سواها
فهو الذى فى الفقر قد تناهى
والواحد المعبود لا يفتقر
لغيره جل الغنى المقتدر

ومعنى هذه الأبيات (١) ، هو :

(ويستحيل) عليه تعالى (ضد ما تقدم) المراد بالضد هنا الضد اللغوى ، وهو مطلق المنافى سواء كان وجوديا أو عدميا فكأنه قال ويستحيل عليه تعالى كل ما ينافى ما تقدم (من الصفات) أى الصفات النفسية والسلبية والمعانى (الشامخات) المرتفعات المنزهات عن الحدوث ولوازمه (لأنه لو لم يكن موصوفا) إلى آخر الأبيات إشارة إلى دليل استحالة أضداد الصفات الواجبة عليه تعالى وبيانه لو لم يكن الله تعالى متصفا بالصفات الواجبة لا تصف بأضدادها ولو اتصف بأضدادها لكان محتاجا .. كيف والواحد المعبود

---

(١) كما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » ص ٣٦ .

لا يفتقر لغيره جل الغنى المقتدر على كل شيء وكل شيء إليه فقير .

** كما جاء أيضا في الدين الخالص ج ١ تحت عنوان :

الجائز في حق الله تعـالى

ما نصه الذى نريد كذلك أن نفهمه ، وهو أنه :

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهو متفضل بالخلق والإختراع والتكليف والإنعام والإحســان لا عن وجوب ولا إيجاب .

فلا يجب عليه شيء مما ذكر . ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ، إذ للمالك أن يتصرف في ملكه بما شاء . فهو الخــالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلا منه وإحسانا . وهو الخــالق للكفر والمعاصى والشــقاوة والأمراض والفقر ونحو ذلك عدلا منه في مملوكه ، قال تعالى : **« والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضــل العظيم »** (١) وقال : **« وربك يخلق ما يشاء ويختار »** (٢)

---

(١) البقرة : الآية ١٠٥ .

(٢) القصص : ٦٨ .

وقال : « فعال لما يريد »(١) وقال : « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء »(٢) . وقال : « من يضلل الله فلا هادى له »(٣) . وقال : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »(٤) : فيجوز فى حقه تعالى عقلا (تعذيب) المطيع عدلا منه لأنه الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها . وإنما ينتفع بها العبد الذى وفقه الله لكسبها ، (وإثابة) العاصى فضلا منه لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها ، وإنما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلا منه قال تعالى « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا »(٥) ، وقال « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »(٦) ، وقال : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير »(٧) وقال : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز »(٨) .

وفى الحديث القدسى : « يا بنى آدم ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستعين

---

(١) البروج : ١٦ .
(٢) النحل : ٩٣ .
(٣) الأعراف : ١٨٦ .
(٤) الأنبياء : ٢٣ .
(٥) الكهف : ٤٩ .
(٦) فصلت : ٤٦ .
(٧) البقرة : ٢٨٤ .
(٨) ابراهيم : ١٩ .

بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، بل خلقتكم لتعبدونى طويلا وتشكرونى كثيرا، وتسبحونى بكرة وأصيلا . ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم ، اجتمعوا على طاعتى ما زاد ذلك فى ملكى مثقال ذرة . ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم ، اجتمعوا على معصيتى ما نقص ذلك من ملكى مثقال ذرة » . وقال تعالى : **« ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين »**(١) وهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد (ومن الجائز) رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقا للعادة بلا اتصال الأشعة به تعالى ولا كيفية ولا انحصار فى جهة ، قال الله تعالى : **« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة »**(٢) ، (ومن الجائز) إنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نزل إليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم المقيم ، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم . قال تعالى : **« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل**

---

(١) العنكبوت : ٦ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

هدى للناس ، وأنزل الفرقان » (١) ، وقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » (٢) ، وقال : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٣) ، وقال : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٤) وقال : « رسلا مبشرين ومنذرين » (٥) .

هذا : ومما تقدم تعلم أنه يجب على مكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة . وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك .

** وقد أشار صاحب الخريدة إلى الجائز فى حق الله تعالى ، فقال :

وجائز فى حقه الإيجاد
والترك والإشقاء والإسعاد

---

(١) آل عمران : ٤ .
(٢) الكهف : ١ .
(٣) الفرقان : الآية ١ .
(٤) النحل : الآية ٩ .
(٥) النساء : الآية ١٦٥ .

ومعنى هذا البيت كما جاء فى (تهذيب شرح الخريدة) ، هو :

(وجائز فى حقه) تعالى (الإيجاد) أى إيجاد الممكنات والإيجاد والخلق بمعنى واحد وهو تعلق القدرة بوجود المقدور فإن تعلقت بالحياة سمى أحياء ، وبالموت سمى أماتة ، وبالمرزوق سمى رزقا وهذه التعليقات هى المسماة بصفات الأفعال وهى حادثة كما ترى لأنها عبارة عن التعلق التنجيزى للقدرة وهو حادث قطعا (والترك) أى ترك الإيجاد للمكنات ، يعنى أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز فى حقه تعالى إن شاء فعل وإن شاء ترك •• ومن ذلك بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام •• ورؤية البارى تعالى ، وإثابة العاصى ، وتعذيب المطيع و (الإشقاء والإسعاد) أى إيجاد الشقاوة والسعادة وإنما نص عليهما وإن خلا فى الإيجاد اهتماما بشأنهما •

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن دائما وأبدا على صلة بهذا الإله العظيم عن طريق هذه المعرفة التى لابد وأن تكون على هذا الأساس العقائدى الذى وقفت عليه •

وذلك حتى تكون من هؤلاء الموحدين حقا •• وأعنى بهم الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروا الله تعالى فذكرهم ••

فكانوا هداة مهديين .. وقادة منتصرين .. وكانوا رجالاً كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** » (١) .

وكانوا كذلك بسبب هذا من الذين عرفوا كيف يتضرعون إليه سبحانه وتعالى بشفافية إن دلت على شىء فإنما تدل على صدق إيمانهم بالله تعالى .. وصلتهم الوثيقة به .

وحسبى حتى تتضح الصورة لنا .. أن أختم — هـذا الموضوع — بقصيدة للأستاذ الشيخ الفاضـل : إبراهيم بدوى ، والتى نشرت بمجلة (الوعى الإسلامى) (٢) وفيها يقول كلاما توحيديا من أرقى وأعظم ما قرأت فى هذا المجال الذى لا يستطيع أن يرقى إليه إلا من تذوق حلاوة المعرفة .. فإليك هذه القصيدة بنصها ، تحت عنوان :

مع اللـــه

بك أسـتجير ومن يجير سـواكا

فأجر ضعيفا يحتمى بحمـاكا

---

(١) النـور : ٣٧ .

(٢) العـدد ٥٤ .

إنى ضعيف أستعين على قوى

ذنبى ومعصيتى ببعض قواكا

أذنبت يا ربى وآذتنى ذنو

ب ما لها من غافر إلاكا

دنياى غرتنى وعفوك غرنى

ما حيلتى فى هذه أو ذاكا

لو أن قلبى شك لم يك مؤمنا

بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يا مدرك الأبصار ، والأبصار لا

تدرى له ولكنهه إدراكا

أتراك عين والعيون لها مدى

ما جاوزته ، ولا مدى لمداكا

إن لم تكن عينى تراك فإننى

فى كل شىء أستبين علاكا

* * *

يا منبت الأزهار عاطرة الشذا

هذا الشذا الفواح نفح شذاكا

يا مجرى الأنهار : ما جريانها

إلا انفعالة قطرة لنداكا

رباه هأنذا خلصت من الهوى

واستقبل القلب الخلى هواكا

وتركت أنسى بالحيـاة ولهـوها

ولقيت كل الأنس فى نجـواكا

ونسـيت حبى واعتزلت أحبتى

ونسيت نفسى خوف أن أنساكا

ذقت الهوى مرا ولم أذق الهـوى

يارب حلوا قبـل أن أهـواكا

أنا كنت يا ربى أسـير غشـاوتى

وبدأت بالقلب البصـير أراكا

يا غـافر الذنب العظيم وقـابلا

للتـوب : قلب تائب ناجـاكا

أترده وترد صـــادق توبتى

حاشـاك ترفض تائبـا حاشاك

يارب جئتك نادما أبكى على

ما قدمـته يداى لا أتباكى

أنا لسـت أخشى من لقاء جهنم

وعـذابها لكننى أخشـــاك

أخشى من العرض الرهيب عليـك

ياربى وأخشى منك إذ ألقـاكا

* * *

يارب عـــدت إلى رحابك تائبـــا
مستســـلما مستمسكا بعراكا
مالى وما للأغنيـــاء وأنت يا
رب الغنى ولا يحـــد غناكا
مالى وما للأقـــوياء وأنت يا
ربى ورب النـــاس ما أقواكـــا
إنى أويت لكل مأوى فى الحيا
ة فما رأيت أعـــز من مأواكـــا
وتلمست نفسى الســـبيل إلى النجا
ة فلم تجـــد منجى سوى منجاكا
وبحثت عن سر الســـعادة جاهدا
فوجدت هـــذا السر فى تقواكا
فليرض عنى النـــاس أو فليسخطوا
فلسوف لا أســـعى لغير رضاكا
أدعـــوك ياربى لتغفر حوبتى
وتعيننى وتمـــدنى
فاقبـــل دعائى واستجب لرجاوتى
ما خاب يوما من د
يارب هـــذا العصر ألحـــد عنـــدما
سخرت ياربى لـ

علمته من علمك (النـــووى) ما
علمتـــــه فإذا به عــاداكا
ما كاد يطلق للعلا صـــاروخه
حتى أشـــاح بوجهه وقلاكا
واغتـــر حتى ظن الـــكون فى
يمنى بنى الإنســـان لا يمناكا
أو ما درى الإنســـان أن جميع ما
وصلت إليه يداه من نعمـــاكا ؟
أو ما درى الإنسان أنك لو أرد
ت لظلت الذرات فى مخباكا ؟
لو شئت ياربى هـــوى صبـــاروخه
أو لو أردت لما استطاع حراكا
يا أيهـــا الإنســـان مهـــلا وانتئـــد
واشكر لربك فضـــل ما أولاكا
واســـجد لمولاك القـــدير فإنما
مستحدثات العلم من مولاكا
أفإن هـــداك بعلمـــه لعجيبة
تزور عنه وينثنى عطفاكا
إن النـــــواة ولكترونات التى
تجرى يراها اللـــه حين يراكا

ما كنت تقــــوى أن تفتت ذرة
منهن لولا اللــــه قد قــواكا

* * *

كل العجــائب صنعة العقــل الذى
هو صنعة الله الذى ســـواكا

والعقل ليس بمدرك شيئا إذا
ما الله لم يكتب له الإدراكا

لله فى الآفــاق آيــات لعــ
ــل أقلهــا هو ما إليه هداكا

ولعــل ما فى النفس من آيــاته
عجب عجاب لو ترى عينــاكا

والكون مشــحون بأســـرار إذا
حاولت تفسيرا لهــا أعيــاكا

قل للطبيب تخطفته يــد الردى
يا شافى الأمراض من أرداكا ؟

قل للمريض نجــا وعوفى بعــدما
عجزت فنون الطب : من عافاكا ؟

قــل للصـــحيح يموت لا من علــة
من بالمنــايا يا صحيح دهاكا ؟

قل للبصـــير وكان يحــذر حفـرة
فهوى بها من ذا الذى أهواكا ؟
بل ســائل الأعمى خطا بين الزحا
م بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟
قل للوليـــد بكى وأجهش بالبـــكا
لدى الولادة : ما الذى أبكاكا ؟
وإذا ترى الثعبـــان ينفث ســمه
فاسأله : من ذا بالسموم حشاكا ؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبـــان أو
تحيا : وهذا السم يملأ فاكا ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
شهدا وقل للشهد : من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصـــفى كان بـــ
ين دم وفرث : ما الذى صفاكا ؟
وإذا رأيت الحى يخرج من حنـــا
يا ميت فاسأله : من أحياكا ؟
قل للهواء تحســـه الأيـــدى ويخـــ
ـفى عن عيون الناس من أخفاكا ؟
قل للنبـــات يجف بعـــد تعهـــد
ورعاية : من بالجفـــاف رماكا ؟

وإذا رأيت النبت فى الصـحراء ير
بو وحده فاسأله : من أرباكا ؟

* * *

وإذا رأيت البـدر يسرى ناشرا
أنواره فاسأله : من أسراكا ؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبـ
ـعد كل شىء : ما الذى أدناكا ؟
قل للمرير من الثمـار من الذى
بالمر من دون الثمار غـذاكا ؟
وإذا رأيت النخل مشقوق النـوى
فاسأله : من يا نخل شق نواكا ؟
وإذا رأيت النـار شـب لهيبهـا
فاسأل لهيب النار : من أوراكا ؟
وإذا ترى الجبـل الأشـم مناطحا
قمم السحاب فسله من أرساكا ؟
وإذا ترى صـخرا تفجر باليـا
ه ، فسله : من بالماء شق صفاكا ؟
وإذا رأيت النهـر بالعـذب الزلا
ل جرى فسله : من الذى أجراكا ؟

وإذا رأيت البحـر بالمسـح الأجـا
ج طغى ، فسله : من الذى أطغاكا ؟
وإذا رأيت الليـل يغشى داجيـا
فاسأله : من يا ليل حاك دجاكا ؟

* * *

وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا
فاسأله : من يا صبح صاغ ضحاكا ؟
هذى عجائب طالما أخـذت بهـا
عينـاك وانفتحت بها أذناكا
والله فى كل العجـائب ماثل
إن لم تكن لتراه فهـو يراكا
يا أيهـا الإنسـان مهـلا ما الذى
باللـه جـل جـلاله أغراكا
حـاذر إذا تغزو الفضاء فربما
ثأر الفضـاء لنفسـه فغزاكا
أغز الفضـاء ولا تكن مسـتعمرا
أو مسـتغلا باغيا سـفاكا
سـخر نشاط العلم فى حقل الرخـا
ء يصغ من الذهب النضار ثراكا

سـخره يملأ بالسـلام وبالتعـا
ون عالما متنـاحرا سـفاكا
وادفع به شر الحياة وسوءها
وامسح بنعمى نوره بؤساكا
العـلم إحيـاء وإنشـاء وليـ
ـس العلم تدميرا ولا إهلاكا
فإذا أردت العـلم منحرفا فما
أشقى الحيـاة به وما أشقاكا

** وهكذا كمـا رأيت أخا الإسـلام يستطيع المؤمن الصادق فى حبه لله تبارك وتعالى أن يترجم حبه هذا .. بهذا التوحيد الخالص الذى إن دل على شىء فإنما يدل على أن قائل هذا الفكر السليم قد عرف الله تعالى حق المعرفة .. وحسبه هذا .. لأنه كما يقول أحدهم :

من عـرف اللـه فلـم تغنـه
معرفة اللـه فـذاك الشـقى

فلتكن إن شاء الله تعالى من أهل المعرفة حتى تكون من السعداء لا من الأشقياء .

والله ولى التوفيق "

خادم القرآن والسنة
طه عبد الله العفيفى

وختاما أخا الإسلام :

وبعد أن وقفت معى على تلك الأساسيات العقائدية الهامة التى كان لابد وأن نقف عليها كمؤمنين بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا : أرجو أن تكون مؤكدا لكل هذا بالتوحيد الخالص .. الذى ينبغى أن يكون منزها عن الإنخراط فى (سلك) الفرق الضالة التى منها (١) :

* المعتزلة : التى كان احتكامها فى البدء إلى الرأى المجرد دون النقل ، وإلى الفلسفة دون النبوة .. ثم سرعان ما جنحوا إلى لوثة تجردية موغلة فى الضلال أفضوا منها إلى متاهات الزيغ والإلحاد ، وإن كان بدأ أمرهم بالرد على النصارى والفلاسفة اليهود .

* والخوارج : وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة يقال لهم الحرورية نسبة إلى موطنهم الأول حروراء وهى بلدة بظاهر الكوفة .

كما يقال لهم الشراة نسـبة إلى ما زعموه أنهم شروا أنفسهم من الله .

---

(١) كما جاء فى مقدمة الكتاب (العـلو للعلى الغفـار) للأستاذ المراجع لأصوله : عبد الرحمن محمد عثمان (٥٠) بتصرف .

كما يقال لهم النواصب نسبة إلى الناصب أو الناصبى الذى غلا فى بغض على رضى الله عنه ، ونصب نفسه لحربه•

وبدأ أمرهم بخروج عبد الله بن الكواء اليشكرى عن طاعة أمير المؤمنين على بعد أن كان من قواد جنده واهل النجدة والبأس من رجاله ، وتلاه شبث بن ربعى وكان من قواد على أيضا ، وهو الذى جمع الخوارج ووحد صفوفهم •

ويجمع الخوارج على أختلاف طوائفهم إكفار عثمان وعلى والحكمين (١) ومن رضى بالتحكيم أو بأحد الحكمين ، واكفار مرتكب الذنوب والخروج على السلطان الجائر • ومن فرقهم :

* الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى ، وهم أشد فرقة فيهم بأسا ، وأكثرهم عددا ، قالوا : كل صاحب ذنب مشرك •

* النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، قالوا : من نظر نظرة أو كذب كذبة ولو صغيرة فأصر عليها فهو مشرك، ومن زنا وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم إن كان على مذهبهم •

---

(١) وهما عمرو بن العاص ، وابو موسى الأشعرى •

* الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر قالوا : كل ذنب ليس فيه حد فهو كفر وصاحبه كافر ووافقوا جملة ما قالته الأزارقة .

* الإباضية : أتباع عبد الله بن إباض تفرع منهم خمسة فرق أفحشهم قولا اليزيدية أتباع يزيد بن أبى انيسة قال : إن شريعة الإسلام تنسخ آخر الزمان على يد نبى يبعث من العجم .

* وأما الشيعة والروافض فتفرع منهم قرابة الثلاثين طائفة ترجع إلى خمس : زيدية وإمامية وكيسانية وبيانية وسبأية .. وقد تفرعت الإمامية إلى خمس عشرة فرقة منهم الإسماعيلية والاثنا عشرية والشيطانية والكاملية أتباع أبى كامل أفحش الروافض قولا فى على والصحابة رضوان الله عليهم .

* أما الغلاة : فقد قالوا بإلاهية على والأئمة وأسقطوا الفرائض وأبلحوا المحرمات وقلدوا السبأية عليهم لعنة الله .

* أما المعتزلة : فقد غاصوا فيما لا نجاة لهم من بحوره، فما يتعلق أحدهم بقشة حتى تصرعه لجة .. وما يخلص من أحبولة حتى يقع فى أحابيل .. تفرعوا إلى حوالى عشرين طائفة اتفقت كلها على نفى صفات البارى سبحانه جل جلاله

وأنه ليس له (سبحانه) علم ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا حيـــاة ... الخ واتفقت طوائفهم على أن الله سبحانه لا يرى نفسه ولا يرى شيئا .. سبحانه عما يقولون وتعالى علوا كبيرا :

* من طوائفهم الواصلية : أتباع واصل بن عطاء .

* ومن طوائفهم الهذيلية أتباع العلاف ، والنظـــامية اتباع ابن يسار كان أبو الهذيل العلاف خاله .

* ومنهم المعمرية : أتباع معمر بن عباد .

* ومنهم البشرية : أتباع بشر بن المعتمر وله أراجيز تبلغ أربعين ألف بيت فى وصف ونصرة مذهبه فى الإعتزال .

* ومنهم الإسكافية : أتباع محمد بن عبد الله الإسكافى ويزعم قدرة الله على ظلم الأطفال دون الكبار .

* ومنهم الثمامية : أتباع ثمامة بن أشرس النميرى مولاهم .

* ومنهم الجاحظية : أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو ضال مفسد حسن البيان ، أظهر القول بخلق القرآن واستحدث القــول بالجـــوهر والعرض واختلق الكلام فى الصفات أهى نفس الذات أم بائنة عنها . وعارضه وأضرا به

بعض مثبتى الصفات فغلا بعضهم حتى صاروا إلى التشبيه والتجسيم .

* ومنهم الجبانية : أتباع أبى على الجبابى وفرقهم كثيرة موغلة فى الضلال والزيغ والإلحاد .

* ومثلهم البهشمية : أتباع أبى هاشم ابنه وقد خالف أباه فى تسع وعشرين مسألة .. تماما كما خالف أبوه شيخه أبا الهذيل العلاف فى قرابة العشرين مسألة .

** أما الفرق الأخرى ذوات المقاصد الخبيثة التى عملت على إفساد عقائد المسلمين فمنهم :

* المرجئة : الذين قالوا : ليس لله على عباده فريضة إلا الإيمان ، ومن آمن فقد عرفه ، ومن عرفه فليفعل ما يشاء .

والإيمان عندهم هو الإقرار بالشهادتين فقط ، وسموا المرجئـة لأنهم أرجأوا العمـل والطاعات أى آخروها عن الإقرار . والفرائض عندهم ليست عبادات بل طاعات .. صاروا إلى خمس فرق منها المريسية أتباع بشر المريسى الذى يقول : إن السجود للصنم ليس بكفر إنما هو دليل على الكفر وأن القرآن مخلوق .

ومنهم السـيبائية الذين يقولون بأن الله سيب خلقـه ليعملوا ما شاءوا .

* والجهمية : قالوا : إن الله سبحانه لا يعلم ما يكون ، وأن كلام الله وعلمه حادث وأنه لا فعل لأحد غير الله ، وأفعال البشر اضطرارية ، وهم أتباع جهم بن صفوان تلميذ الجعد ابن درهم أول زنديق أظهر بدعة القول بخلق القرآن .

والجهمية صاروا إلى طوائف كثيرة منهم المعطلة والزنادقة الذين يقولون لا رب مادام يدرك بالحواس ، وكل ما يدرك بالحواس فهو مخلوق فليس برب .

* والجبرية : الذين ينسبون الفعل كله لله وينفون عن الخلق الكسب والإستطاعة .. وقد صاروا إلى طوائف منها النجارية زعموا أن الله يعذب الناس على فعله لا فعلهم . ومنها السابقية قالوا : السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا تنفعه طاعته .

* والكرامية : أتباع محمد بن كرام قالوا : إن معبودهم محل للحوادث وإنه جسم له حد واحد من الجانب الذى على العرش ولا نهاية له من الجانب الآخر . وهم يرون التلفظ بالشهادتين كافيا ولو مع بقاء النفاق والزندقة فى القلب وأن الله له ثقل تنفطر منه السماء .. الخ وسوى ذلك من المقالات التى بلغت غايات الشناعة لعن الله قائليها لعنا كبيرا .

** وقد قرأت أن صبيغ بن عسل من أهل مصر ذهب إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه يسأله عن تفسير قوله تعالى « للرحمن على العرش استوى » فيقول له : ليس عندى علم ذلك ، وإنى مرسلك إلى من عنده علم ذلك ، ويبعث به إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه كتاب يقول فيه : يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل يسأل عن متشابه القرآن . فلما قدم الرجل وقرأ عمر الكتاب غضب حتى استبان فى وجهه الغضب وقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ . فقال وأنا عبد الله عمر ، ، وقام إليه يضربه بعرجون النخل حتى أدمى رأسه . فيقول صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب والله الذى كنت أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة وأمر أن يهجر سنة فلا يكلمه أحد .

وكان على رضى الله عنه يقول : لو وجدت رجلا من أهل القدر لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه فإنهم يهود هذه الأمة .

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى تحذر الوقوع فى كل تلك الفتن .. وحسبك أن تكون كالإمام فخر الدين الرازى الذى قال فى كتابه : « أقسام الذات » بعد أن مر ببعض التجارب الفكرية التى كادت أن تفتنه ، لولا لطف الله به:

نهـــاية إقـــدام العقـــول عقـــال
وغـــاية ســـعى العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـــا فى وحشـــة من جســـومنا
وحاصـــل دنيـــانا أذى ووبـــال
ولم نســـتفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيـــل وقالوا

ثم يقول فيـــه : لقد تأملت الطرق الكلامية والمنـــاهج الفلسفية فما رأيتها تشفى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، أقرأ فى الإثبات : « الرحمن على العرش استوى » و (إليه يصعد الكلم الطيب) وأقرأ فى النفى (ليس كمثله شىء) ، (ولا يحيطون به علما) ومن جرب تجربتى عرف مثل معرفتى .

** أسأل الله تعالى أن يقينى وإياك شر الفتن ما ظهر منها وما بطن .. وأن يجعلنى وإياك من أهل التوحيد الخالص .. آمين .

** وأشكر دار التأليف للطباعة والنشر على تعاونها معى فى نشر هذا العلم النافع الذى أسأل الله تعالى أن يجعله حجة لنا لا علينا .. آمين .

المؤلف

(تحت الطبع)

الكتاب الثانى من مجموعة الصفات المباركة وهو :

** (الصفات الواجبة والمستحيلة .. والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام) .**

ولسوف توالى (دار التأليف للطباعة والنشر والتوزيع) طبع ونشر بقية أجزاء المجموعة التى ستصل إلى الكتاب العاشر إن شاء الله .

أسأل الله تعالى لنا ولها ولجميع الإخوة الطالبين للعلم النافع التوفيق والسداد ... آمين .

المؤلف

دليـــل الموضـــوعات

رقم الايداع ٩٥٥٣ ــ ١٩٩٠
977 — 993 — 8

مطبعة دار التأليف
٨ ، ٩ شارع يعقوب بالمالية ــ القاهرة
تليفون : ٣٥٤١٨٢٥

سقط سهوا (نرجو تصحيحه)
مع الاعتذار للأخ القــارىء

مسلسل	رقم السطر	رقم الصفحة	الخطأ	الصواب
١	٥	١٠	وكان	وكاد
٢	٦	٢٦		يا رحيم
٣	٢	٣٠	الولى	المولى
٤	٥	٣٠	يا متعالى	يا متعال
٥	١	٥٦	مثال	مثقال
٦	٧	٥٨	ولم يفض	ولم يغض
٧	٢	١٤٤		الأرض
٨	١	١٥٧	كما يفعل	عما يفعل
٩	١٣	١٦٠	للنوام	الدوام
١٠	٨	١٦٧	سحبانه	سبحانه
١١	٢	١٧٢	من يرد الله	فمن يرد الله
١٢	٨	١٨١	البقرة ٢١٣	النور الآية ٣٥
١٣	٢	١٩٦	يضال	يُضل
١٤	١٨	١٩٨	النحل الآية ٩	النحل الآية ٨٩
١٥	٣	٢١٦	للرحمن	الرحمن

(*) مع ملاحظة انه قد سقط سهوا من القصيدة الاخيرة سطر رقم ٥ صحيفة ٢٠٦ البيت الآتى وترتيبه رقم ٥٢ فى القصيدة :

قـــل للجنيـــن يعيش مغـــزولا بلا
راع ومرعى ما الـــذى يرعـــاكا

هـذا الكتـاب

كما سيرى الاخ المسلم ، وكما سترى الأخت المسلمة ..
يدور حول أهم الأساسيات العقـائدية المتعلقة بـ (الصـفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى) .

ولسوف يتأكد للأخ المسلم والاخت المسلمة انهما كانا فى اشد الحاجة الى معرفة تلك الأساسيات حتى يكونا بسبب معرفتها من الراسخين فى العلم الذين يقولون بالنسبة للمتشابهات : ((.. آمنا به كل من عند ربنا ..)) .

وذلك حتى لا يقعا فى شباك ((الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله..))

وحسبهما أن ينجيهما الله تعالى من هـذا الانزلاق الذى أسأل الله تعالى أن يعافينا منه جميعا نحن الموحدين ان شـاء الله .. هذا واذا كانت هناك استفسارات للأخ القارىء فانه من الممكن أن يكتبها الينا حتى نجيبه عليها فى الطبعة القادمة ان شاء الله على العنوان الآتى : المعادى شارع ١٠ منزل رقم ٨٤

والله ولى التوفيق ..



مطبعة دار التأليف

٨ ، ٩ ش يعقوب ـ المالية ـ القاهرة
تليفون : ٣٥٤١٨٢٥

الثمن ٣ جنيه